قدري حافظ طوقان



دار العلم للملايين

بيروت

قدري حافظ طوقان



دار العلم للملايين

بيروت

كانون الثاني ١٩٥٠

هــذا الكتــاب

يتناول هذا الكتاب كارثة فلسطين وعواملها واسبابها والاساليب التي اتبعها العرب في سائر ديارهم في الكفاح ومقاومة الاستعمار والصهيونية . تلك الاساليب التي جعلت هزيمة العرب اجمعين في فلسطين نتيجة حتمية لها.

كما يتناول الكتاب الأركان التي يجب ان تقوم عليها مناهج التربية والخطوط العريضة التي يتحتم ان تسير عليها برامج التعليم في البلاد العربية مما يؤدي الى التقدم المستمر والنمو المتصل و يدفع الى التحرر من التقيد بالاغراض المألوفة ومقاييس الماضي لينشأ جيل بعقلية تطلعية يؤمن بالتقدم والاسلوب العلمي والرقم و برسالته في الحياة وقابلياته في الانتاج والابداع .

وغاية ما ارجوه ان يخرج القارىء العربي من هذا الكتاب وقد ادرك ان لا خلاص للعرب الاّ بالعلم واساليبه ولا كيان لهم الاّ اذا سايروا الحضارة في ركبها وسلّموا زمام امورهم لعقليات علمية تقدر أهمية العلم والتنظيم والرقم .

نابلس — قدري حافظ طوقان

حول
عدم صلاحية العرب للحياة

•

ان الكارثة التي حلت بالأمة العربية في فلسطين ، جعلت الكثيرين من الشباب والشيوخ ينظرون الى بني قومهم (العرب) نظرات قاتمة من زوايا التشاؤم والقنوط ، ومن خلال غيوم اليأس والخمول . فبدا الحاضر مظلماً يحفل بالمصائب والخطوب ، والمستقبل حالكاً ينذر بالفواجع والكروب . وتسرب الشك الى النفوس ، فاعتلاها ، فساء الخلق وانتشرت فوضاه ، وغمرت الناس امواج من المتاعب والصعاب ، اضعفت ايمانهم بتاريخهم وتراثهم ، وزعزعت ثقتهم بأنفسهم ، فلا أمل لهم في الحياة ولا رجاء معها . وصاروا يرون العرب في تاريخهم وماضيهم من ثنايا المآسي والنكبات ، فاذا هو خال من المكرمات ، مليء بالحروب والمنازعات ، اقوياؤهم ظالمون اشداء ، وضعفاؤهم مستعبدون أذلاء . ثم جاءوا الى الحاضر ، فاذا العرب يتأخرون ، واذا ركب الحضارة يسبقهم قروناً عديدة .

أين (العرب) من امم العالم في العلوم والفنون ، في التجارة والصناعة ، في الهندسة والعمران . واين العرب من امم الغرب في المعنويات والأخلاق القومية ، والشعور بالمسؤولية تجاه المجموع . فكان من ذلك ان وقف العرب جامدين امام الأحداث ، لم يراعوا روح العصر ، ولم يسيروا على هدى العلم في روحه واسلوبه ، فكان تقهقرهم وتراجعهم ، فاستهان الأعداء بهم وغلبوهم ، وهم يحاولون القضاء عليهم بأسلحة الخلق والعلم والتنظيم ونحن نقاومهم بأسلحة الجهل والفوضى والغرور . فلا عجب اذن ان تسود فكرة عند الكثيرين ، وهي ان العرب لا يصلحون للحياة ، وانهم ليسوا أهلاً لتحمل اعبائها ومسؤولياتها ، وانهم يعيشون على هامشها ، وقد تخلفوا عن ركب الحضارة لاهين بالسفاسف والاختلافات ، بينما سار الناس في سائر الديار في ركب الانسانية جادين منتجين ، فورثوا الأرض وما عليها من خيرات وما فيها من كنوز ، فأتوا بالعجب العجاب ، و بالسحر يخلب الألباب .

ولكن مهلاً ، فالعرب كسائر الامم فيهم قابلية التقدم والارتقاء ، لا يفضلهم شعب ولا يتميز عليهم عنصر . وان ما اصابهم من الخمول والجمود طبيعي ليس فيه ما يثير الدهشة والعجب اذا ما استعرضنا تاريخهم والاوضاع التي كانوا عليها . لقد رزح

العرب تحت النير التركي خمسة قرون ، ورزح بعض اقطارهم تحت الضغط الاوروبي عشرات السنين ، كما لا يزال بعضها الآخر يرزح تحت الاستعمار ، فليس من الطبيعي اذن ان يكون اندفاع العرب في ركب الحضارة بالقوة التي نراها عند امم الغرب ، ذلك لأن العقلية العربية لا تزال تعاني من آثار ذاك الضغط وذاك الاستعمار ، وهي بحاجة الى بعض الوقت لتتخلص من القيود والسدود، وحينئذ يكون في مقدورها الانطلاق والتحرر والانتاج . وعلى هذا فان تخلف العرب عن السير في ركب الحضارة ، هو في الواقع من آثار الاستعمارين التركي والاوروبي ، ونتيجة حتمية لأساليبهما وضغطهما. وعلينا ان نكون منصفين فلا ننتظر من العرب ان يكون تطور العقلية عندهم فعالا ومنتجاً كالتطور الذي اصاب العقلية الاوروبية فجعلها تسبق العرب في ميادين الحضارة والعمران بمراحل عديدة .

اما ما يدعيه بعضهم من ان سبق الغرب للعرب يعود الى ان العرب ساميون ليس فيهم قابلية الابتكار والارتقاء مثل الآريين ، فهذا رأي سخيف ثبت بطلانه وفساده ، لا يقره العلم ولا يأخذ به ، وقد نبذه العلماء واعتبروه من اضاليل الفكر البشري . ولا يتسع المجال هنا لاستعراض آراء كبار الباحثين والمفكرين في نظرية الآرية والسامية ، ولكن يمكن القول انهم توصلوا فيها الى «..ان

ارجاع الفروق التي تشاهد بين الاقوام الى اختلاف اجناسها وعروقها، والقول ان الاجناس البشرية يمتاز بعضها عن بعض باوصاف فطرية وراثية ، مما لا يقره العلم الحديث بوجه من الوجوه ، وهو خرافة يجب نبذها وعدم الأخذ بها . »

ونرجع الآن الى ما يقوله بعض المتشائمين من ان تاريخ العرب مليء بالمآسي والحروب والاختلافات ، وليس فيه ما يستحق التمجيد والاستلهام .

ان تاريخ الأمم يتألف من ادوار ارتقاء وادوار انحطاط ، وفيها من الصفحات ما هي سوداء ، ومن الصفحات ما هي لامعة حافلة بالأمجاد . فليس من الانصاف ان ينظر بعض شباب العرب الى تاريخهم من ناحية ضيقة واحدة غير معتبرين النواحي الأخرى.

انهم يقولون : وهل لنا تاريخ نعتز به ؟ وهل كان مجيداً ؟ ألم يكن التاريخ العربي حافلاً بالحروب والفتوحات والمخاصمات والمنافسات بين الخلفاء والامراء ورجال الحكم ؟ ويستمرون في استخراج امثال هذه الآراء والأحكام ، مما يثبط العزائم ويدفع الى اليأس والقنوط .

قد يكون لهؤلاء المتشائمين بعض العذر في ان يخرجوا من صفحات تاريخهم بما خرجوا منه، ذلك لأن العرب لم يحسنوا عرض

تاريخهم ولم يسيروا في وضعه على أسس علمية وخطط تربوية وتوجيه قومي ؛ فجاء (تاريخاً هزيلاً) بالنسبة الى التواريخ الغربية التي أحسن المؤلفون الغربيون عرضها وترتيبها وابرازها . اننا لا نزال نكتب تاريخنا بأسلوب قديم وعلى نمط سخيف خال من التوجيه .

فتاريخنا هو تاريخ رجال الحكم والامراء والوزراء والقواد العسكريين ، وهو استعراض لفتوحاتهم ومنازعاتهم، وقد دوّن بطرق ملتوية مشوهة ، لا يعنى الا بتفصيل الوقائع والحروب والمآسي التي يجب ان تترك للكتب الموسعة لرجال البحث والاختصاص ، لا ان تكون في الكتب العامة والمدرسية التي تقع دائماً تحت نظر الأكثرية الساحقة من الأمة .

والواقع اننا لم نحسن عرض تاريخنا ، ولم يتوفق العرب في جعل صفحاته اللامعة سهلة التناول بسبب الاسلوب السقيم الذي سار عليه المؤلفون ، فلم يكن هناك سياسة توجيهية ، ولا نزعة قومية تسيطر على وضع الكتب والرسائل .

ومن يدرس تاريخ الأمم الأخرى بشيء من التوسع ، ويرجع الى المصادر المفصلة واراد ان يكتب هذا التاريخ على النمط الذي كتب فيه تاريخنا ، وبالاسلوب ذاته لتجلّى ان تاريخنا من احسن

التواريخ ، ولتغيرت نظرة الناس الى تاريخ تلك الأمم ،وتبين الفرق العظيم بين تراثنا وتراثهم .

يجب ان تتغير طرق التدوين التي يسير عليها العرب في كتبهم الحديثة ، وان تترك الوثائق والمنازعات ، ويلتفت الى نواح اخرى تتعلق بالحضارة والاجتماع والثقافة والتربية ، وأثر العرب فيها وخدماتهم لها .

يقول بعض الناس ان اكثر علماء العرب وشعرائهم وادبائهم لم يكونوا من أصل عربي ، وما دروا ان المهم في هذا الشأن هو البيئة والتربية والثقافة واللغة ، لا الدم والأصل والنسل .

ومن الملاحظ ان اكثر الكتب التاريخية التي تقع بين ايدي الطلاب ، حين تذكر تراجم العلماء والادباء ورجال الفكر ، تتوسع في ذكر أصلهم ونسبهم وحياتهم الخاصة ، مع أن الكتب الأجنبية لا تعير أي اهتمام لهذه النواحي ، بل توجه اهتمامها الى مآثرهم الحقيقية وتراثهم وأثرهم في تقدم الحضارة والعمران .

ولو استعرضنا تواريخ الأمم في أوربا وغيرها من الكتب التي تتوسع في البحث ، والمصادر التفصيلية التي تهم المختصين ، لوجدنا انواعاً من المآسي والنكبات لا تقل عن التي نجدها في تاريخنا ، وفي كثير من الحالات انواعاً من المخازي والمآسي لا نجد مثيلاً لها. لكنهم

عرفوا كيف يبرزون تاريخهم لناشئتهم وللناس ، فألبسوه لباساً قومياً، وعرضوه على اسس تربيوية مما يدعم الثقة و يقوي الايمان،وتاريخنا حافل بالحوادث المجيدة والصفحات اللامعة ، ولكن تنقصها الطريقة العلمية والاسلوب التربيوي والتوجيه القومي كما يقول الاستاذ ساطع الحصري .

والآن ، و بعد ان وقعت الكارثة على العرب أجمعين ، فان في احداثها ومآسيها بداية لتحول خطير في الاتجاهات والاندفاعات ، وفعلاً بدأ هذا التحول يبدو للعيان في استفاقة العرب من هجعتهم ونهوضهم من كبوتهم . فاذا الدعوة الى الأخذ بأساليب الغرب تجري في طريقها على الرغم من المصاعب والعقبات ، وتتجه اتجاهاً سليماً، ولسنا بحاجة الى القول ان هذه الدعوة لا تكون مثمرة ما لم تبن على أسس قويمة وتسير في طرق تضمن لها الاستمرار والاندفاع ، وليس أضمن لهذا كله من استنطاق الماضي بعد وضعه بعقلية غربية، ونزعة قومية ، واستلهامه عزماً وقوة ، لا مباهاة وفخراً ، ومن معرفة الحاضر واشباعه درساً وفحصاً ، ومن النظر الى المستقبل بعين الرجاء والأمل. اما الماضي ففيه كل ما يعتز به العربي و يفخر ، وفيه كل ما يوحي بالاعتماد على النفس والثقة بها ، هذا اذا احسن عرضه وابرازه .

واما الحاضر، فهو الصرح الذي يبنى عليه المستقبل،ولذا وجب

على العرب ان يتبصروا فيه كل التبصر ، وان يتفهموا مشاكله في انفسهم ووجودهم ، وان يكون من وعيهم ما يثيرهم و يدفعهم الى الامام والسير في ركب الحضارة .

ان اكبر جناية يقترفها المثقفون والمتعلمون في هـذه الايام ، ان يستسلموا الى القنوط واليأس من كثرة المشاكل والمآسي المحيطة ببلادهم و بني قومهم .

ان الصعاب والمشاكل تحيط كل نهضة ، وتعترض كل حركة ترمي الى التقدم ، فعلى الشباب ان لا تثنيهم المتاعب والنكبات عن عزمهم في تحرير بلادهم والنهوض بها . على الشباب ان يدركوا ان قومهم ليسوا الوحيدين في مجابهة الصعاب والمآسي، فكل امة نهضت جابهت ما يجابهه العرب الآن من العقبات ، ولكنها تغلبت عليها واجتازتها بالعزيمة والارادة والايمان .

وفي امكان العرب اذا عزموا وارادوا ان يجتازوا عقباتهم و يقتحموا الصعاب ، ذلك لانهم (كغيرهم من الأمم) من الكائنات الطبيعية الحية تكمن فيها القابلية للحياة والقوة لاداء رسالتها .

ليست المشاكل والموانع بشيء اذا ما آمن العرب بحقهم في الحياة والتقدم. لهذا وجب على العرب أن لا يفزعوا من هول النكبات المنصبة عليهم وان لا يعتريهم هلع من المصاعب المحيطة بهم. وعليهم

ان يؤمنوا بقابليتهم للحياة وصلاحيتهم لأداء رسالتها ، وان يثقوا بأنفسهم وحيويتهم . و بذلك تتلاشى الصعاب ، وتزول المشاكل والعقبات امام الارادة والثقة والايمان .

هذا هو طريق الخلاص، الطريق المؤدي الى انقاذ العرب من ورطتهم الكبرى وكارثتهم العظمى.وهذا هو طريق النهوض والتقدم في معارج الحضارة والمجد والخلود ...

العرب
بين الغرور والشعور بالنقص

●

لا اقصد من هذا الفصل التعريض باحد من الناس ،اوالتشهير بجماعة من الجماعات ، لكني اقصد عرض ناحية هامة تتعلق بتفكيرنا من جهة عامة ، وعدم نضجنا ، ونقد انفسنا ، والعقلية التي تسيطر على اعمال المسؤولين والرؤساء . واني لا أرى مانعاً يحول دون هذا العرض ، بل أشعر بقوة تدفعني الى شرحه وتبيانه ، ذلك لأن نقد النفس اول مراتب الاصلاح ، كما يقول علماء الاجتماع . واني اذهب بعيداً فأقرر ان واجب المتعلمين والمثقفين وحملة الاقلام ان يشرحوا لبني قومهم الاوضاع والحال التي وصل اليها العرب على اسس من النقد النزيه ، و بأفق واسع وعقلية علمية ، ليتمكن العرب من تدارك اخطائهم وتلافي اغلاطهم ، والنهوض من كبوتهم ، لا سيما وهم في بداية يقظتهم وعلى عتبة الحضارة .

كنت منذ اربع سنين في زيارة صديق وقد تناولت كتيباً من

على مكتبه و بدأت أتصفحه ، فجذبني ما فيه من كلمـات وافكار .
ومضيت أتابع قراءته ، فتبادر الى ذهني اني اقرأ خطاباً لاحد رؤساء الدول العظمى ، لما تضمنه من بيانات حاسمة ، واصلاحات واسعة ، ومنهاج عريض ، واعتزاز بالمقام الدولي الذي تتمتع به حكومته وأمته . وقد لفت نظري جملة تتعلق بالطاقـة الذرية ، وهي ان حكومته قد سيطرت على لجنة الطاقة الذرية ، و بعد ان أتممت القراءة رجعت الى العنوان على الغـلاف استطلع اسم محرر الخطاب الجامع ، وكم كانت دهشتي عظيمة حين وجدت ان صاحب الخطاب (كان مسؤولا كبيراً في احدى الدول العربية) .

لقد كانت مفاجأة لكنها مؤلمة ، اذ اقامت الدليل على ان العرب لا يزالون يعنون بالقشور دون اللباب ، وانهم بعيدون عن الحقائق ، وقد اساؤوا تقديرها وفهمها. ولا أدري كيف سمح ذلك المسؤول لقلمه ان يخط بان حكومته قد سيطرت على لجنة الطاقة الذرية ، وليس في ملايين العرب من يعرف شيئاً عن صنعها وعملها .

وهل وجود عضو عربي في لجنة تبحث في تحريم استعمال الطاقة الذرية وعدم استعمال المواد الخام التي تصنع منها القنبلة الذرية يعني السيطرة ؟ أليس في هذا الادعاء مجال لسخرية الأجانب ، واستهتار بالعقول والناس ؟ لكنه الغرور طغى على العقل فاضطرب التفكير .

ومن الغريب ان لا يقتصر هذا الغرور على مسؤول واحد بل يتعداه الى مسؤولين آخرين يشغلون مراكز عالية ، لا ادري اين يضعون عقولهم حين يصرحون و يخطبون و يقررون .

قال احدهم ، وهو من اصحاب المسؤوليات الجسام في العالم العربي ، ان الدول العربية اخذت من القرارات ما يهز العالم هزاً ، وسنري العالم المدهشات !

فما هو هذا القرار الذي سيخرج المدهشات ؟ انه في الكارثة التي حلت بفلسطين والتي هزت العرب هزاً كاد يفقدهم ثقتهم بانفسهم ، و يزعزع ايمانهم بقابليتهم وحيويتهم .

اذا كان هذا ما يعني فقد اصاب ، فالهزة وقعت وقد اوشكت ان تقضي على الكيان ، والتي ان لم يتداركها العرب بالحكمة والتنظيم والعمل فستكون من عوامل زوالهم ومحوهم كأمة من الوجود .

ومن يدرس الاوضاع في مختلف الجهات يجد ان المسؤولين والرؤساء يكتفون بالمظاهر ، وان عضوية اللجان الدولية والاشتراك في المؤتمرات العالمية كافية (في نظرهم) لان تجعل الأمة او الحكومة ذات كيان دولي محترم .

وما أبرع العرب في الشكليات ، وما اكثر اهتمامهم بالقشور .. وقد يكون هذا من ثمار مركب العظمة عندهم ، الناتج من جهلهم

بالاصول التي تقوم عليها الحضارة الاوروبية ، وطفولة في التفكير وسوء فهم للتطور الذي اصاب العقل الانساني .

ولا نزال نذكر الحفلة الكبرى التي اقامها مندوبو احدى الدول العربية في سان فرانسسكو ، والتي كانت من اروع الحفلات وأبهاها ، قد أنفق عليها من المبالغ ما يكفي لبناء مدرسة او مستشفى وقد فرحنا بالغاية التي وصلنا اليها ، فمدحت الصحف تلك الحفلة ، وعلقت عليها بانها من حفلات الخيال التي وردت في ألف ليلةوليلة!

ألم يقل المارشال مونتغمري ان العرب لا يعتمد عليهم في الشدائد ، وهم لا يتقنون الا الولائم واقامة الحفلات . وهو محق في ما ذهب اليه ، فقد عاش في الاقطار العربية متنقلاً في ربوعها ، واتصل بالعرب من قادة وسياسيين واعيان ، وخرج من اتصالاته بان العرب لا يعنون الا بالقشور والمظاهر ولا يخفى ان هذا فيالميزان الدولي والعالمي لا يساوي شيئاً ، بل هو من العوامل التي تجعل الغرب يستهتر بنا و يدفعه الى مهاجمتنا واستعمارنا واستغلال كنوزناوخيراتنا.

واخشى ان يسيء القراء الفهم ، فتذهب ظنونهم الى اني ادعو العرب الى عدم الاشتراك في المؤتمرات او الاحجام عن اقامة الولائم والحفلات . انا لا ادعو الى ذلك ولا اقول به ، لكن اقول ان لا يسيروا في هذه المظاهر الى الحد الذي يبهظ ميزانية الدولة ، وان لا

يكون ذلك على حساب مشاريع الاصلاح والعمران .

وليس الامر مقصوراً على ما ذكرنا فان في تصرفات الافراد والمسؤولين في سائر نواحي نشاطهم واتجاهاتهم ما يدل على ان الشعور بالعظمة كان متغلغلاً عند العرب ، مما كان له اكبر الاثر في ما اصابهم من استكانة وجمود .

ان هذا الشعور قد حجب عن أعين العرب الحقائق ، فلم يدركوا قوى الاعداء ولم يحفلوا بروح العصر وقيمة الاساليب العلمية والتنظيم ، فكان التراجع امام الاعداء وكانت الكارثة التي اصابت العرب اجمعين في شرفهم وكرامتهم وكيانهم .

وهنا بدأ التحول الخطير في الشعور والاتجاه عند العرب ، اذ انقلب ذلك الشعور بالعظمة الى نقيضه ، ولكن بصورة مفزعة تنذر بالعواقب الوخيمة ، فالعرب اذن لا شيء ولا قيمة لهم . كيف تكون لهم قيمة او وزن وقد هزموا في ميادين المادة والمعنويات . ومن الطبيعي ان يسود الاعتقاد بعدم القابلية ، والشك في امكانية الحياة والمحافظة على الكيان . واصبح العرب يتلمسون الاخطار المحدقة بهم ، ويرون فيها تهديداً مباشراً لهم . والذي اخشاه انه اذا استمر حال العرب في شعورهم بالنقص والضعة ، ونما هذا الشعور، فسيؤدي ذلك الى انعكاف العرب وانكماشهم على انفسهم،

وانعزالهم عن العالم ، وفي هذا ما فيه من تعطيل لمواهبهم وايقاف لنموهم فيصبحون امة تعيش على هامش الحياة ، ومن الجماعات المتأخرة ، لا رجاء فيها ولا رسالة لها .

والذي نرجوه ونأمله ان يستغل المفكرون والمسؤولون هذا الشعور بالنقص عند بني قومهم ، فيعملوا على اثارتهم وحفزهم الى مقاومة هذا النقص بالعزيمة والعمل وشحذ الهمم ، وعدم الوقوف ، والاندفاع في التقدم والأخذ باسباب الحضارة .

لقد وقع العرب بين شعورين ، شعور بالعظمة،ادى الى الغرور ، واعماهم عن الحقائق واضلهم السبيل، حتى اذا وقعت الكارثة عليهم انقلب ذلك الشعور الى شعور مناقض ، وهو الشعور بالنقص ، فتزعزع ايمانهم بانفسهم وتاريخهم وقومهم ، وشكوا في قابليتهم وامكانية بقائهم كأمة حية ذات مقومات وكيان .

وهنا يأتي واجب رجال الفكر والمسؤولين واصحاب الاقلام في التعاون على شرح اسباب الكارثة وعوامل انقسام العرب وتأخرهم عن ركب الانسانية ، وفي تهيئة الوسائل للاستفادة من الاوضاع والتاريخ الماضي الحافل بالمآثر والامجاد والحاضر المليء بالكوارث والمآسي .

ان واجب رجال الفكر ان يجعلوا من تراث العرب وامجادهم قوة تدفع العرب الى التقدم والأخذ باساليب الغرب في الحياة وعليهم ان

يتنبهوا حين يعرضون تاريخهم وتراثهم ، فما يكون لهم ان يعتبروا الماضي الهدف الذي نتوجه اليه كما يريده بعض الناس من الرجعيين، ففي ذلك من الخطر ما فيه على نهضة الامة ، بل عليهم ان يجعلوا من التاريخ العربي قوة محركة الى الامام ونقطة ارتكاز تساعدهم على التقدم والارتقاء .

على رجال الفكر وحملة الاقلام ، ان يعرفوا الناس بعيوبهم ونقائصهم وان يبرزوا الى بني قومهم نقط الضعف والعوامل التي ادت الى تأخرهم وتقاعسهم عن الأمم الأخرى في السير الى الأمام . وعلى هؤلاء ان لايتهاونوا في نضالهم في هـذا السبيل ، فهو الطريق المؤدي الى اصلاح العرب وحفز هممهم للنهوض والوثوب .

وعلى المثقفين واصحاب العقول النيرة تبعات جسام في العمل على زرع الأمل في النفوس وتقوية الايمان بالحيوية والقابلية، وتطهير القلوب من الخمول والقنوط .

واختم كلامي بان حياة العرب في هذا العالم ، يجب ان ترتبط بشيء عظيم ، وهل من شيء ، في هذه الايام الحالكات ، أعظم من خلاص الوطن وانقاذ البلاد ، والسير بها في ركب الحضارة مـع العاملين المنتجين. فلنربط هذه الحياة بخلاص البلاد وانقاذها، وليكن هدف الجميع الخروج الى حياة كريمة فاضلة ، دثارها الصبر والأمل ، وشعارها التقدم والعمل .

(١)

التربية والمدرسة

●

ان الحال الذي وصل اليه العرب بعد الضربة التي اصابتهم في كارثة فلسطين يوجب على المفكرين والمسؤولين دراسة الموقف من جميع نواحيه ، ومعالجة المشاكل على أسس جديدة ، واعداد برنامج واسع غير البرامج التي سار عليها العرب بحيث يشتمل على إحداث تغييرات اساسية في المناهج وأساليب التعليم ، من شأنها ان تمهد لاعداد جيل بعقلية تطلعية ، يؤمن برسالته في الحياة، و يعمل جاهداً على انقاذ وطنه ورفع مستواه ، والمساهمة في خدمة الحضارة والانسانية.

ان العرب في هذه الأيام في أشد الحاجة الى تبدل الأوضاع ، وانقلاب في أساليب التفكير والحياة ، وذلك بخلق جيل جديد ، وتربيته تربية جديدة يستغل معها حيويته في الصالح العام ، وتدفعه الى السير في ركب الانسانية مع العاملين المنتجين .

والعرب كغيرهم من الأمم ، فيهم قابلية الاقتباس ، وقابلية الابتكار والانتاج ، ولا يمكن لهذه القابلية ان تنمو وتثمر الثمار المرجوة الا اذا عملنا على ثقلها وشحذها وتهيئة الوسائل التي تساعد على ابرازها و بعث نزعاتها الارتقائية ، وشهواتها التطورية ، ليتمكن العرب من العيش في المجتمع العالمي ، ومسايرة الحضارة في تقدمها والاستفادة من مزاياها .

وعلى هذا ، فالجهود يجب ان تتركز في التربية وتطبيقها على أسس جديدة تحقق الخير المطلق ، والتقدم المستمر ، وتُعِدّ المواطن ليقوم بأداء رسالته في الحرب والسلم على أتم وجه وأشرفه . ويرى البروفسور (كرشنشنير) الألماني ان التربية يجب ان تتناول الابقاء على الماضي ابقاء لا يسترعيو بـه ولا يعمينا عن حسنات الحاضر والوقوف على الأزمنة والبيئات والطبقات المختلفة ، حتى يمكن توسيع مدى اتصال الناس بعضهم ببعض ، وان تتناول تمدين الناس ومحو الوحشية من بينهم ، مع غربلة الناشئين وتوجيه كل منهم الى الطريق الذي يتفق وميوله الخاصة ، حتى يبلغ اقصى ما هو كفء له ،وغرس العادات الحسنة على ان لا تستعبد الناشيء ، ويجب ان ندرك ان للتربية وظيفة عامة ومهمة أساسية ، هي التوجيه والسيطرة والارشاد ، فالتربية في واقع الأمر نمو ، فهي (أي التربية) والنمو - كما يقول

ديوي ـ أمر واحد وليس لهما غاية وراءهما . والمقياس الذي نقيس به قيمة التربية المدرسية هو مبلغ ما تخلقه من الرغبة في النمو المتصل، وما تعده من الوسائل لتنفيذ هذه الرغبة في الواقع . ولهذا لا عجب اذا لم تأت المدارس ـ في بلادنا ـ بالفائدة المرجوة منها من حيث النمو المتصل ، ذلك لأن المستعمر ـ في هذه البلاد ـ قد كيفها وجعلها وسيلة من وسائل الجمود ، وقتل المواهب ، وايقاف النمو . وهذا من أهم عوامل فشلنا ، وتخلفنا عن ركب الحضارة .

والذي نأمله ان يلاحظ المسؤولون هذه الناحية ، وان ينظروا اليها بعين الاعتبار عند وضع مناهج جديدة يرسمون بموجبها الخطوط الرئيسية للأهداف التي يجب ان تتحقق من التربية في المدرسة وغيرها.

ان أهم عوامل الكارثة في فلسطين ، عدم وضوح الهدف عند العرب في نضالهم وحياتهم ، مما جعلهم يتخبطون ويسيرون في الظلام وعلى غير هدى و بصيرة . فالهدف الواضح البين هو الذي يساعد على تعيين مجرى الحياة وتحديد اساليب العمل ، فيكون السير في ذلك المجرى فعالا قوياً ، ويكون نتاج العمل مضموناً وغزيراً ، لأن الأساليب محددة واضحة ، لا يحيطها غموض أو ابهام .

ان هدف التربية يجب ان يكون اولا تكوين المواطن الفاضل، وخلق مجتمع جديد يؤمن بحقه في الحياة ، ويناضل من اجل حريته،

ويعمل جاهداً على النمو والارتقاء . ولا يخفى ان تحقيق هذا الهدف الخطير يحتاج الى مناصرة الدولة وفعاليتها .

لقد درس علماء الألمان الأثر الذي تركته فتوحات نابليون لبلادهم في افراد الشعب ، وبحثوا في الوسائل الفعالة لاستعادة كرامتهم وشرفهم ، فخرجوا من ذلك كله « بأن العناية المنظمة بالتعليم ،هي افضل وسيلة لاستعادة كيانها وقوتها السياسيين والمحافظة عليهما . فقد كانت هذه الدول (دول المانيا) في الظاهر ضعيفة منقسمة . ولكنها في ظل زعامة سياسيي بروسيا جعلت من هذا الضعف حافزاً لها على وضع نظام للنهوض بالتربية العامة نهضة واسعة قوية الأركان ... »

والآن ، وعلى ضوء ما حل بفلسطين من كوارث ومآس ، وانهيار في الخلق والمعنويات ، يتحتم ان تكون المدارس ، من صفوفها الابتدائية والثانوية ، الى ما هو اعلى من ذلك ، ذات هدف معين يتحقق في تخريج المواطن المتحمس ، والجندي ،ومن سيكون موظفاً واداريا في الدولة ، واعداد وسائل الدفاع ،والتوسع في الحرب والصناعة والسياسة ، والأخذ بأساليب الحضارة الاوروبية،واقتباس ما هو صالح من نظمها واساليبها،ليتمكن العرب من مجابهة اعدائهم المجهزين بجميع المعدات ، من معنوية ومادية ، ومن مسايرة روح

العصر في تطوره وتقدمه ، فلا يكونون على هامش الحياة ، لا قيمه لهم ، ولا رجاء فيهم ، بل في صميمها ، منتجين صالحين ، يثمرون الثمار المرجوة لخير أوطانهم وخير الانسانية .

ولسنا بحاجة الى القول ان المدرسة هي المكان الرئيسي الذي يمكن فيه للتربية ان تسير نحو اهدافها وتحقق اغراضها ومراميها ، فهي البيئة الصالحة التي تخلق الرغبة في النمو ، وتمهد الوسائل لتنفيذ هذه الرغبة .

وعلى المهيمنين على مصائر المعارف في هذه البلاد ، ان يدركوا ان أهم وظائف المدرسة ، هي ابقاء عملية النمو حية على نحو يسهل استمرار حياتها في المستقبل ، على ان يجعل من الماضي ينبوعاً للخيال يساعد في توجيه الحاضر المتحرك الى الامام ، وتقوية اندفاعه ليكون أساساً لمستقبل يتطور و يتقدم .

ان المدرسة الصالحة هي التي تكشف استعدادات الانسان وتعمل على تهذيبها من اجل الصالح العام ، وخير المجتمع ، فتتعهد حياة النشء وتوجيههم الى الخير ، وترشدهم لما فيه مصلحتهم ومصلحة المجتمع ، مترقبة ظهور الغرائز في الطفل ، فتستعين بها على انماء قواه ، وجعل حياته غزيرة وسامية ، حافلة بالعمل الطبيعي المشوق ، مع اعداد الناشيء في كل مرحلة من مراحل حياته المرحلة

التي تعقبها ، ليكون مواطناً نافعاً ، وعاملاً يعمل على رفع مستوى نفسه و بلاده ، و يضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة .

ولهذا فان الواجب يحتم على الدولة والمفكرين ان يضعوا هيكلا عاماً للتربية في المدارس . يقوم على بعث النزعات الارتقائية والشهوات التطورية ، وعلى زرع الحقد والكراهية للاستعمار والمستعمرين ، وتنمية روح المقاومة لاسترداد الحق السليب ، وتقوية الايمان بالقابلية ، والشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع والانسانية .

ان الاوضاع في البلاد العربية ، والكارثة التي اصابتها في فلسطين ، توجب رسم فلسفة خاصة تستمد مادتها وقوتها من تاريخ العرب وحاضرهم ، ومن روح العصر المتميزة بالنمو والحركة السريعة . وعلى اساس هذه الفلسفة ، توضع مناهج التربية و برامج التعليم في المدارس لاعداد جيل تقدمي نشيط ، رسالته الكفاح والنضال في سبيل الخلاص ، وهدفه النمو المتواصل لتحسين المجتمع والوصول الى حياة كريمة فاضلة .

(٣)

الصناعة المقدسة

●

تختلف الأوضاع الآن عن الأوضاع في زمن الانتداب . فقد اصبح العرب في فلسطين يملكون (الى حد) تصريف امورهم ، ويهيمنون على معارفهم ومدارسهم ومعاهدهم. فلا يجوز والحالة هذه ان تبقى مناهج التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية كما كانت . بل يجب ان يعاد النظر فيها ويصيبها تحوير وتغيير يتلاءمان وروح العصر في التقدم ، ويمهدان لخلق مواطنين يشعرون بالمسؤولية ويعرفون معنى الكرامة الانسانية ، ويقدرون رسالتهم في الحياة .

ولقد كانت هناك سياسة عليا في زمن الانتداب تسيطر على البرامج والمناهج ، واساليب خاصة موضوعة ليسير عليها المدرسون في تدريس التاريخ والجغرافية واللغات ، دون توجيه قومي وهدف انساني ، وعلى اساس (حشو) المعلومات لا (هضمها) فيخرج

الطالب من دراسته الثانوية وكله نفور من الدرس والمطالعة ، قد فقد حوافز الاستطلاع والمثابرة والجهاد .

ولست بحاجة الى القول ان العرب الذين كانوا يشغلون مراكز عالية في دائرة المعارف في فلسطين في زمن الانتداب ، لم يستطيعوا ان يسيطروا على الاوضاع ، ولا ان يكون لهم رأي قاطع في اساليب التوجيه على الرغم من اخلاصهم وولائهم لفكرة القومية العربية ، ومحاولاتهم لتغيير المناهج واساليب التعليم .

والآن ، وقد زالت تلك السياسة المسيطرة ، اصبح لزاماً على المسؤولين ان يتجهوا بجهودهم في ايجاد اسس جديدة للمناهج، تقوم على الاخلاص للحقيقة ، ومراعاة روح العصر في التقدم والارتقاء ، واستهداف التربية الوطنية من التعليم على ان تكون هذه الأسس من المتانة والقوة بحيث تحيل المعرفة الى فهم فرأي فعاطفة، فأسلوب للحياة . وبذلك تصبح المعاهد مصانع لتخريج طلاب بعقلية تطلعية تساعدهم على اداء رسالتهم القومية والانسانية على أتم وجه واشرفه.

ولهذا أتوجه باقتراح الى المسؤولين ، وهو ان يعملوا على انشاء مجلس أعلى للتعليم، غايته اعادة النظر في المناهج بروح علمي ، وشعور قومي ، ووضع الخطوط الرئيسية للاساليب التي يجب اتباعها واستخدامها في تعليم الجغرافية والتاريخ واللغات ، والنواحي العملية

من العلوم التطبيقية وغيرها . كما يجب ان يستهدف المجلس من اعماله التربية الوطنية ورفـع الروح المعنوية والقوميـة في النشء العربي ، وتحقيق الغاية من تثقيفهم وهي الوصول الى اسلوب سام يعيشون فيه.

ولا يخفى ان الاداة التنفيذية في التربية والتعليم هي المعلم ، فهو القائم على تنفيذ المنـاهج ، وهو العامل على تطبيق البرامج ، وهو صاحب الصناعة المقدسة التي تمهد لتكوين المواطن الصـالح القادر على ان يكون نافعاً مثمراً منتجاً . فالمعلم الكفء الصالح هو الذي يستطيع ان يجعل المناهج والبرامج ذات اثر وفعاليـة . فلا فائدة في هذه جميعها اذا كانت الأداة غير صالحة . يقول المثل الفرنسي : « ... أعطني معلماً كفئاً صالحاً ، و برامج سيئة ، اخرج من الاطفال رجالا يعتمـد عليهم ... » وفي رأيي ان كل محاولة في ادخـال تحسينات على المناهج ، وكل محاولة لاصلاح البرامج ، لا تـكون مجدية اذا لم تقم على اساس تهيئة الأداة الصالحة وهي المعلم الكفء الصالح . وليس في هذا القول اي مثار للدهشة ، فهو (اي المعلم) المثال الحي الذي يلتمس فيه النشء القدوة والأسوة ، وهو الأمين على أبنـاء الشعب ، وهو المسؤول عن هـذه الأمانة أمـام الضمير الانساني وأمام الأمة والدولة . لهذا فمهمة المعلم شاقة وذات مسؤولية خطيرة في تهيئة الناشئة ليكونوا أعضاء صالحين مصلحين في المحيط

الذي يعيشون فيه مستعدين لحمل الأمانة الوطنية والقومية «..قادرين على احتمال الأمانة الوطنية التي يتلقونها في التعليم ، والتي تعدهم لحماية الوطن واقرار الأمن والعدل فيه ، وتمكينه من الرقي والطموح الى حال خير من الحال التي هو فيها .. »

وقد قدرت الأمم الراقية هـذه الناحية في التربيـة والتعليم ، فعملت على تهيئة الجو الذي يخرج المعلمين الصالحين ، فجعلت مدارس المعلمين كأحسن ما يكون الصلاح من الناحيتين المعنوية والمادية ، ليتمكن المعلم من النهوض بالأمانة الثقيلة التي تفرضها الأمة والدولة.

« .. ويعلق الانكليز أهمية كبرى على اختيار المعلم والتأكد من صلاحيته للمهمة الكبرى التي يعهد بها اليه . وهم لا يهتمون في هذه المسألة بدرجة المعلم العلمية وكفايته فحسب ، بل يعلقون الى جانب ذلك أهمية كبرى على مسألة سلوكه الشخصي ومتانة أخلاقه ،لأنهم يعتقدون أن المثل الصالح يؤثر في أخلاق النشء اكثر من أي شيء آخر ... »

ويؤلمني أن أصرح ان من عوامل فشل التعليم في اكثر البلاد العربية يرجع الى المعلم ؛ فلم يدرك المسؤولون أهمية المعلم ، وانه القوة الفعالة التي تتمكن من التوجيه الصحيح ، والأداة التنفيذية التي تحقق البرامج وتطبق المناهج . وقد أهملوا أمره ولم يعملوا على تهيئة

الجو الملائم الصالح الذي يساعده على اداء الأمانة الثقيلة على أتم وجه ، فأصبح التعليم في كثير من الأقطار مهنة الفاشلين في الحياة ، ومن الهواة ، كما يقول الأستاذ مشنوق « الذين لم يكن يدور في خلدهم وهم على مقاعد الدراسة انهم سيتعاطون هذه الصناعة المقدسة . ولذلك فهم لم يحضروا لها تحضيراً فنياً مسلكياً . قديكون بينهم من يحمل المترك او البكالوريا ، ولكن كلتا الشهادتين لا تعد صاحبها لهذه المهنة ، فالأولى جواز مرور الى الجامعة ، والثانية شهادة تخصص في فرع من الفروع ، وهي لا تخول حاملها حق ممارسة التعليم ، بل قد لا تمت الى التربية بصلة .. »

ولسنا ننتظر من الحكومات العربية ، وهي حكومات حديثة وناشئة ، ان يكون اعتبارها للتعلم والمعلمين بالصورة التي نجدها في الغرب ، فهي لا تزال تعتبر التعليم سلكا ثانويا ، لا تصرف اليه العناية اللازمة أو الرعاية الضرورية ، ونراها تتساهل في الانتساب اليه ، غير آبهة للكفاية العلمية أو السلوك العام والخاص .

ومن الطبيعي أن ينتج عن ذلك عدم الاهتمام برفاهية المعلم أو انصافه فلا تعترف بحقه أن يعيش عيشة راضية ، ولا تعتبره كسائر الموظفين ولا تضعه في المرتبة التي تتناسب وثقل الأمانة التي يضطلع بها . لهذا لا عجب اذا لمسنا زهداً عندالشباب في هذه المهنةالمقدسة،

ورغبة في التخلص منها . وان من أوجب الواجبات أن يلتفت المسؤولون الى هذه الناحية الهامة ، لا سيما والأمة في بدء نهضتها وعلى عتبات وثبتها . وعليهم أن يدركوا أنه لا يمكن تحقيق أهداف التربية من ايجاد الرغبة في النمو المتصل ، وخلق مواطن فاضل يشعر بمسؤولية تجاه المجموع الا اذا هيأوا الجو لايجاد المعلم الصالح ، وعملوا على انصافه وترغيبه في التعليم ، وانزاله منزلة كريمة بين طبقات الأمة.

ولذلك يجب أن يتجه البرنامج الجديد في المعارف الى تأسيس مدرسة للمعلمين ، وايفاد بعثات الى المعاهد العليا في الشرق والغرب، للتخصص في شؤون التربية والتعليم . وعلينا أن نستعين بمصر حيث الامكانيات لتحضير المعلمين واسعة . ففيها جامعة فؤاد الأول وجامعة فاروق الأول ،وفيها معهد التربية ودار العلوم العليا وكلية اللغة العربية في الأزهر ، وفيها المدارس العالية للزراعة والصناعة والتجارة والفنون الجميلة مما يساعد على تهيئة معلمين للدراسة الثانوية والمهنية .

* * *

وعلى الدولة كذلك أن تلجأ الى طرق تحفز المعلم الى مواصلة الدرس وتوسيع أفق تفكيره ، وذلك بالمكافآت المادية والمعنوية واجراء مسابقات في التأليف ، وتخصيص مبالغ من المال لمن ينجح في هذه المسابقات ، وجعل الدرس والبحث من عوامل الترقية في

الراتب والرتبة .

وعلى هذا الأساس يندفع المعلمون في تيار المعرفة للوقوف على ما بلغه الانسان من كشف لأنظمة الكون ونواميس العالم ، وعلى ما اصاب العقل من تطور ، والحضارة من تقدم وارتقاء في مختلف نواحي الحياة والعمران ، محاولين ان يحيطوا بذلك احاطة معرفة وتدقيق ، وان يبذلوا في الانتاج العلمي اخصب مجهود واحكمه ، فلا تكون حياتهم حينئذ في نطاق محدود من البواعث والغايات ، وفي دائرة ضيقة من السدود والقيود ، بل تتفتح مداركهم ، وتزدهر عواطفهم ، فتنطلق مواهبهم في جواء بعيدة المدى لتثمر الثمار المرجوة لخير الناشئة والبلاد .

بهذا لا بغيره تجعل الدولة من حياة المعلمين جهاداً يحيطه التفكير والشعور ، و يمتزج فيه السمو والفن الجميل .

ولا بد لي من الاشارة الى ان المعلم ـ وهو ركن من اركان النهضة ، والأداة التنفيذية للمناهج والبرامج ـ يجب ان ينال حقه من الحياة ، وان يعيش عيشة فيها كل الرضى وكل الاطمئنان . وعلى الدولة ان تمكن له الحياة من الناحيتين المعنوية والمادية ، فتنزله منزلة كريمة بين موظفيها ، وتنصفه وترفع مستواه المادي من حيث الراتب والترقية ، فيبتسم للأمل و يبسم له الأمل ، و يكون بذلك قد أمن

لنفسه وابنائـه وعـائلته عيشة راضية هنيئة فيقبل على عمله الشاق بشوق ورغبة واخلاص ، يؤمن بالتعليم وقيمته ، ويعمل جاداً على تحقيق اهـداف التربية من خلق الرغبة في الجيل الجديـد في النمو المتصل ، واعداد الوسائل لتنفيذ هذه الرغبة ، وتقوية ايمانه بالقابلية والشعور بالمسؤولية تجاه المجموع والانسانية .

(٣)

المناهج وخطوطها العريضة

●

العرب في هذه البلاد وغيرها من الاقطار العربية ، مقبلون على حياة جديدة تتطلب تغييراً في الأوضاع وانقلاباً في الأساليب ، ومراعاة للحاجات الناتجة عن التقدم الكبير ، والتطور الخطير اللذين اصابا الحياة في سائر نواحيها المادية والمعنوية.

وهذا العصر هو عصر التقدم والتغير ، فمن لم يسر الى أمام ، سار الى وراء ، ومن وقف فقد تأخر ، ومن لم يرتفع ويسمُ فقد تردّى وهبط ، ومن لم يجار روح العصر ويجر مع تيار المدنية يجرفه التيار ويودي به ، فيصبح في عداد الأحياء الأموات ، لا قيمة له ، ولا حياة معه .

والعرب ـ وقد أصابهم ما أصابهم من كارثة فلسطين ـ قد بدأوا يستفيقون من غفوتهم ، وينهضون من كبوتهم ، بعد أن

نفضت تلك الكارثة بعض الغبار العالق بعقولهم ، وأزالت غيوماً من الجهل والغرور عن اعينهم ، فاصبحوا يتلمسون النجاة و يبحثون عن الطرق المؤدية الى التقدم والارتقاء ، كما بدأوا يدركون ان لا حياة لخامل وضعيف ، وان لا كيان لجاهل وهزيل .

ولهذا يجب ان تقوم المناهج في التعليم والتربية على أسس غير الأسس التي قامت عليها في الأيام الماضيات ، وترتكز على أعمدة من العلم والتنظيم مما يدفع الى النمو المتصل والتطور المستمر ، و يؤدي الى القوة ودعم الكيان ، وتنمية القابليات والشعور بالمسؤولية وتقوية ملكة الابتكار ، وتشجيع الانتاج الفكري الى أبعد الحدود .

ولسنا بحاجة الى القول ان الغربيين يعنون بالمناهج عناية خاصة و يصرفون عليها الجهد والمال ، لانها ـ في نظرهم ـ و يجب ان تكون في نظر العرب ـ الدستور الثقافي الذي ينظم الحياة ، و يوجه الجيل الجديد الوجهة السليمة الغزيرة المثمرة ، على ان تكون قابلة للتطور والنمو مما يتلاءم وروح العصر .

لقد طرأت تغييرات ذات أهمية على مناهج التربية في اميركا و بعض البلاد الاوروبية في اوائل القرن العشرين ، واختلف رجال التعليم والعلماء في تفصيل اغراض « التربية » واهدافها ، ولكنهم اتفقوا على الجوهر والأساس ، فحصر العلماء في اميركا غايات « التربية

والتعليم » في سبع مسائل ، وعليها رسموا مناهجهم وأقاموا معاهدهم ومدارسهم . ولعله من المفيد ان آتي على ذكر هذه الغايات لاعطاء فكرة واضحة عن الخطوط العريضة في رسم المناهج والبرامج .

ان الأغراض التي اتفق عليها علماء التربية والتعليم في اميركا بعد دراسات عديدة وتجارب مضنية متنوعة تشمل سائر نواحي الحياة المادية والمعنوية ، وهي كما يلي :

الغرض الأول ـ الالمام بالعلوم العامة .

الغرض الثاني ـ الاستعداد المهنة ، مما يؤدي الى احترام العمل اليدوي والصناعة على تعددها وتنوعها .

الغرض الثالث ـ الصحة ، وهو يقضي بوجوب الاهتمام بها وجعلها في مستوى الأغراض الأخرى . ويقوم هذا الهدف على المحافظة على الجسم ، والعمل على تقويته وانمائه إنماء متناسباً ، ذلك لان العقول القوية الناضجة تكون في الأجسام القوية الصحيحة .

الغرض الرابع : ـ خدمة الوطن ، وهو ان يعيش الفرد للمجموع ، وان يقدر المسؤولية تجاه المجتمع ، ويحشد مواهبه وحيويته لخدمة الوطن والانسانية ، ويضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة .

الغرض الخامس : ـ استخدام أوقات الفراغ ، وهذا يوجب

تعليم النشء كيف يستخدمون ساعات فراغهم في احسن الوجوه وانتجها . ويكون ذلك بتشجيع النوادي العلمية والادبية والرياضية والحركات الكشفية .

الغرض السادس : ـ الحياة العائلية والعمل على اسعادها .

الغرض السابع وهو الأخير : ـ تكوين الاخلاق على أساس المبادىء السامية والفضائل الصحيحة ، ورفع المستوى النفسي والخلقي في الناشئة ليستطيعوا اداء رسالتهم في الحياة على أتم وجه واشرفه .

*

والآن ، وبعد ان استعرضنا الأغراض العامة للتربية والتعليم المبثوثة في المناهج في اميركا ، وجب علينا ان نرسم مناهجنا على هذا الأساس بحيث تكون الأهداف واضحة ، ذات اتجاهات سليمة وخطوط رئيسية للتقدم في الميادين المعنوية والمادية والقومية والانسانية . ولقد توفق الاستاذ ساطع الحصري بعض التوفيق في اجمال الأهداف في مناهج سوريا التعليمية فجعل «الهدف العام هو تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية ، لينشأ كل فرد من افراده قوي البدن ، حسن الخلق ، صحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معتزاً بقوميته مدركاً لواجباته ، مزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته ، قادراً على خدمة بلاده بقواه

العقلية والبدنية ، وبجهوده الانتاجية .. »

ولا يخفى ان العرب فشلوا في فلسطين ، وان هزيمتهم في معركتها قد نزعت ثقة الناس بأنفسهم ، وزعزعت ايمانهم في قابلياتهم وقوميتهم ، وسوّدت في نظرهم بني قومهم . وعلى هذا يجب عند وضع المناهج مراعاة هذه الأحوال والأوضاع ، ورسم الخطوط التي تساعد على تنمية الشعور بالعزة القومية والقضاء على مركب النقص القومي ، وابراز خدمات العرب في ميادين العلوم والفنون ، ومساهمتهم في بناء الحضارة والعمران .

وكذلك يجب أن يراعي واضعو المناهج روح العصر والتقدم الذي أصاب الحياة والعلم ، فلا تكون المناهج في معزل عن الناحية العلمية والعملية ، ولا بعيدة عن الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية التي تسود الحضارة الحالية ليكون المجال رحباً واسعاً أمام الطالب لينعم بثقافة علمية متينة واسعة ، تعزز فيها الناحية العملية من العلم وتشفع فيها النظريات بالعمليات، وليكون ملماً بالامكانيات الاقتصادية في البلاد العربية ، مدركا لأهمية استغلالها في التقدم والعمران .

ويجب أن لا يهمل المسؤولون أيضاً ، النواحي الفنية عندوضع المناهج ، وعليهم أن يضعوا الأسس لضمان ابراز الذوق الفني ، وتنميته تنمية يدرك معها الجمال في روائع الفن ويتأثر بها ، فتسمو

نفسه ، و يرهف حسه .

وهناك ناحية هامـة تتعلق بالصحة والرياضة ، على المسؤولين مراعاتها وادخالها في المناهج ، فيجعلون من المدرسة بيئة يتمشى فيها اللعب مع العمل ، بحيث يساعدان على الوصول الى ما نرغب فيه من تقوية للجسم والعقـل والخلق ، ليكون المواطن سليم الجسم ، سليم العقل ، فيه استعداد للعمل ، ورغبة في العمل والانتاج .

ولا يكفي أن تكون المناهج حافلة بالمواد والآراء والنظريات والتوجيهات ، بل على المسؤولين أن يضمنوا أثرها ، و يهيئوا الوسائل التي تأتي بالنتائج المبتغاة ، وذلك ببيان الخطوات التي تمهد الوصول الى أهداف المناهج وايضاح الطرق المؤدية الى تحقيق غاياتها . وقد ذكر الدكتور «وليم كلباترك » الذي تأثر كثيراً بفلسفة معلمه الكبير « ديوي » الخطوات التي تساعد على احراز أفعل النتائج من التعليم، ومن هذه الخطوات المران والتدريب . ذلـك لأن التعليم والاتقان والحذق لا تأتي عفواً ومن دون تمرين أو تدريب . ولذا يرى علماء التربية ورجال التعليم أن يشمل المنهاج المران على أعمال حسية ، وفضائل وأفكار ليكون تعليم الطالب مثمراً غزيراً .

والخطوة الثانية هي الرغبة والعزيمة ـ وهذه ناحية هامة يجب مراعاتها عند وضع المناهج ، فالرغبة أصل العزيمة . والمناهج التي لا

تؤكد الرغبة ، ولا تعنى بالعزيمة ، ناقصة لا تثمر ثمارها المرجوة من النهوض والتقدم . ولهذا نجد أن « .. المناهج الحديثة تنظر الى الاستظهار والوقوف على بعض المعلومات والحقائق نظرات ثانوية ، لكنها تنظر الى العادة والخطة والمبدأ والمثل الأعلى والاعجاب وسائر الفضائل التي نريد غرسها في نفوس الناشئة ، نظرة أولية كبيرة .. »

ونأتي الآن الى الخطوة الثالثة : الترابط والتداعي ، وهي خطوة تتعلق بذكر الأشياء أو الحوادث المرتبطة بوقائع خاصة ، أو بمناظر خاصة . وعلى هذا فالتجارب في بعض العلوم تساعد على فهم القوانين وتركيز المبادىء العامة مما يتحتم على واضعي المناهج أن يراعوا الترابط و يجعلوا له مكاناً رئيسياً فيها .

أما الخطوة الرابعة فهي تعدد الأشياء التي نتعلمها . فالمعارف لا تأتي فرادى ، بل لا بد من تعلمها مجتمعة . فاذا أردنا أن نتعلم شيئاً فعلينا أن نتعلم معه شيئاً آخر « .. ولا بد أن يكون لهذه الخطوة بعض الاتصال بالخطوة السالفة .. » و يرى رجال التربية ان الخطوتين الثالثة والرابعة على جانب كبير من الأهمية . ولذا « وجب أن تكون المناهج والواجبات المدرسية موضوعة بكيفية تأخذ منها هذه المبادىء المتعددة مجراها . فاذا سدت على الطالب المسالك وازدحمت المناهج وخلت من التنويع وضغط على تفكير الطالب

ساءت المبادىء وعرقلت الخطط التي يتعلمها .. » ويجب أن تكون المناهج موضوعة بحيث تكوّن أسلوباً للحياة من شأنه أن يصلح (الحياة) ويؤدي الى تحسينها ورفع مستواها . والمناهج التي لا توصل الى ذلك لا خير فيها ، وضررها اكثر من نفعها . بل ان الضرر الناتج عنها يكون بليغاً وخطيراً . والمناهج بمعانيها ومحتوياتها يجب أن تنشأ في جواء من الاختبارات والبيئات وتعين الطالب على السيادة على الحياة واقتحام عراقيلها والتغلب على متاعبها. وفوق ذلك على الأداة التنفيذية للمناهج أن تسير في تربية النشء على أساس تزويدهم بالعدد التي تساعدهم على الخروج من المآزق وتركيز روح التفاؤل فيهم ، وتنمية قوى التكيف عندهم ، والعمل على تحويل مجرى الأمور من اليأس الى الرجاء ، ومن الفشل الى النجاح، على أن يكون الرائد والهدف التقدم المستمر ، والنمو المتواصل ، وشعارهم الاخلاص للحق والحقيقة .

هذه هي بعض الخطوط العريضة التي يجب مراعاتها عند وضع المناهج ، لتثمر الثمار المرجوة في اعداد جيل جديد تطلعي ، يهدف الى النمو المتواصل لتحسين المجتمع ، ويؤمن برسالته في الحياة ، عاملاً على انقاذ وطنه ورفع مستواه ، والمساهمة في خدمة الحضارة والانسانية .

(٤)

ابواب الفهم

●

ان العرب الآن في مطلع نهضة ان لم يأخذوا بأسبابها و يعملوا على تنميتها فلا يرجى لهم حياة في هذا العالم النامي المستمر في التقدم والارتقاء . وعلى ذلك أصبح لزاماً على المسؤولين عن مناهج التعليم في هذه البلاد والبلاد العربية ان يجعلوا من مادتي التاريخ والجغرافيا وسيلة لتهيئة الطرق التي تساعد العرب على فهم المحيط الذي يعيشون فيه ، واستيعاب اعمال وآلام الجماعات التي ليست حياتهم إلا دواماً لحياتها ، فتنفتح امامهم ابواب للفهم تساعدهم على حل المشاكل الحاضرة والتمهيد لحياة نامية فاضلة .

ان الغاية التربوية من تعلم الجغرافيا « زيادة القدرة على ادراك العلاقات المكانية والطبيعية لعمل من الأعمال الاعتيادية ... » كما ان علم التاريخ « ما هو في جوهره الا زيادة القدرة على ادراك

علاقات البشرية ... » كما يقول البروفسور ديوي .

ومن هنا يجب ان تكون دراسة التاريخ والجغرافية قائمة على أسس تربوية حديثة لانهما في الواقع وجهان لموضوع واحد هو الحياة المجتمعة للانسان . فدراسة التاريخ تؤكد لنا الناحية البشرية ، ودراسة الجغرافية تؤكد لنا الناحية الطبيعية . و بين هاتين الدراستين علاقة متبادلة لا يجوز اغفالها أو اهمالها . فاذا ما اهملت هذه العلاقة فقد التاريخ أثره فيغدو مجرد جداول للتواريخ والحوادث، كما فقدت الجغرافية أثرها فتصبح مجموعة من المعلومات الجافة الجامدة ، ليس فيها ما يوسع المعاني و يحفز لأفكار جديدة . فدراسة طبيعة الوسط الذي نعيش فيه ، والذي وقعت وتقع فيه الاحداث الاجتماعية ، تزودنا بادراك دوافع هذه الاحداث،و تساعد على فهم عواملها فيزيد تبصرنا في الحياة ، وتنمو خبرتنا نمواً تتفتح معه المدارك و يتسع افق التفكير . فالتاريخ والجغرافيا يكسبان الطالب عقلية جديدة ، و يفتحان أمامه ابواباً للفهم،و يساعدانه على فهم الحاضر ومشاكله ، وتهيئة الطريق لاستغلال امكانيات المحيط والوصول الى حياة غزيرة فاضلة . ولا شك ان الامم التي ضربت بسهم وافر في التقدم والمدنية ، قد ادركت هذه الناحية فسارت في تدريس التاريخ والجغرافيا على أسس تربوية زودتها بمعان جديدة للحياة ، وساعدت

على تنمية خبرتهم البشرية وادراك الحقائق والمبادىء التي مهدت السبيل الى النجاح والسيطرة على قوى الطبيعة واستغلالها لرفاه البشرية وخيرها .

*

ومن الطبيعي ان يبدأ تدريس الجغرافيا بالمحيط الذي يعيش فيه الانسان ، ومنها يخرج الى المجهول ، الى الدائرة التي تشمله وتشمل المجهول بالنسبة اليه ، « فان لم تجعل دراسة الجغرافيا المحلية أساساً للتوصل الى العالم الواسع البعيد ، اصبحت قتالة في جمودها ... » وبقي الخيال واقفاً دون غذاء يقويه وينميه . ولهذا فان البدء بالجغرافيا المحلية على أساس انها وسيلة لتوسيع افق الخبرة حتى تتناول الشعوب والأشياء المجهولة الغريبة عنا ، يولد معاني جديدة من شأنها ان تحول دون التفكير المحدود الضيق ، بل توسع العقل وتذهب بالأفكار الى مدى بعيد .

أما الاقتصار على دراسة الجغرافيا المحلية والتركيز على اهميتها ، فجمود ينتهي بالمحدودية الفكرية وايقاف التوالد في المعاني والتجديد في الأفكار .

ولسنا بحاجة الى القول ان عرض الجغرافيا المحلية يحتاج الى مهارة واختصاص حتى يخرج الناشىء واقفاً على امكانيات البلاد

الاقتصادية والزراعية والصناعية وكيفية تفاعلها مع بعضها في الماضي والحاضر وعلاقاتها مع الانسان . ولا شك ان هذا الاتجاه في تدريس الجغرافيا المحلية والخروج منها الى جغرافية العالم الواسعة بحيث تنمى خبرة الطالب نمواً تتولد معه معان جديدة تساعده على فهم المحيط وادراك تفاعلاته في نشوء الحضارات وازدهارها ، أو ذبولها .

*

ونأتي الى التاريخ ـ وهنا يجب ان يكون مفهوماً ان التاريخ يفقد حيويته اذا عزل عن أساليب الحياة الاجتماعية وشؤونها« ..وان معرفة الماضي هي التي تفتح أمامنا ابواباً لفهم الحاضر ، فالتاريخ يعالج الماضي ، ولكن هذا الماضي هو تاريخ الحاضر... »وقد ضرب البروفسور ديوي مثلاً على ذلك استكشاف اميركا فقال : « ... ودونك مثلاً الدراسة الرشيدة لاستكشاف اميركا واستطلاع مجاهلها واستعمارها وحركة النزوح الأولى من شرقيها الى غربيها والهجرة اليها ... فانها يجب ان تكون دراسة للولايات المتحدة كما هي عليه اليوم ، أي دراسة البلاد التي نعيش فيها الآن . فاذا مضينا في دراستها في طور تكونها ، فان ذلك يسهل علينا فهم الكثير من الأمور المعقدة التي يتعذر فهمها بصورة مباشرة ... » ولا يخفى ان ادراك العلاقة بين الماضي والحاضر ، بين الأحداث الماضية و بين

الحاضر الحي ، لما يساعد على حل المشاكل وعلى فك العقد المستعصية في كثير من القضايا ...

ولست من القائلين بتدريس التاريخ على أساس انه فن يراد به الدعاية المتطرفة ، الوطنية او الطائفية ؛ فان هذا الاتجاه يوجد التعصب ويشجع على الكراهية والبغضاء . وارى ان دراسة التاريخ يجب ان تسودها الدقة والنزاهة ، بحيث يجد الطالب فيها الوسيلة للحب البشري والسلام والتسامح .

*

وكذلك من واجب المسؤولين أن يعنوا عناية خاصة بالتاريخ الاقتصادي ، لأنه « اكثر انسانية وديمقراطية » وأقدر من التاريخ السياسي على تحرير الفكر « ... فهو لا يعرض لقيام الامارات والسلطات وسقوطها، ولكنه يعرض لنشأة الحريات الفعلية الصادرة من السيطرة على الطبيعة ـ وتلك هي حريات عامة الشعب الذين توجد الامارات والسلطات من أجلهم ... » . ويرى كبار رجال التربية ان التاريخ الصناعي هو الطريق المباشر الى فهم العلاقات بين جهاد الانسان وبين الطبيعة . وهو عرض للطريقة التي تمكن بها الانسان من استغلال قوى الطبيعة .

ويتحتم على واضعي المناهج أن يلتفتوا الى التاريخ الفكري

ليفهم الطالب ان الفضل فيما وصل اليه من رقي وتقدم ، ومن توسيع للخبرة والسيطرة على قوى الطبيعة ، يعود أولاً الى رجال العلم والمكتشفين والمخترعين لا الى الزعماء السياسيين أو القواد العسكريين .. وهنا يقضي الواجب التشديد على مساهمة العرب في ميادين العلوم والفنون ، وخدماتهم في حفظ التراث العلمي الذي ورثوه عن الأمم التي سبقتهم وتنميته . والعرب كغيرهم من الأمم - فيهم قابلية التقدم والارتقاء ، وان العقل العربي حين واتته الظروف ، قام بحظ موفور في رقي البشرية ، وأضاف اضافات هامة الى الثروة العلمية الانسانية ، التي انتجتها العقول التي سبقت العرب من فينيقيين و بابليين وكلدانيين ومصريين واغريق وهنود ورومان وغيرهم . ودراسة التاريخ الفكري توضح جهاد الانسان نحو الرقي والحرية والحضارة ، وهي « ... بهذه المثابة تقوي روح الخير .. » فيصبح تاريخ تقدم العلوم والفنون ذا قيمة خلقية ، يساعد على تكوين بصيرة تنفذ الى صور الحياة الاجتماعية الحاضرة ، فتنفتح العقول للفهم والادراك بصورة تساعد على تكوين المحيط الذي تنمو فيه الحياة الفاضلة .

ويمكن القول ان دراسة التاريخ يجب ان تسير على نظام يشمل مراحل متعددة تمهد لجعل الصورة البشرية واضحة غير

مشوهة ، كما تعين الطالب على ان يفهم تاريخ الكوكب الذي يعيش فيه ، وتطور سكانه ، ومدى تقدمهم في سلم الحضارة .

ويحتاج تدريس التاريخ الى نظام خاص ، وقد اقتبسناه من النظام الذي وضعه الأستاذ سلامة موسى ، بعد ان أجرينا تعديلات في بعض خطواته ، وأضفنا خطوات جديدة اليه . وهو كما يلي :

١ ــ يجب تدريس تاريخ هذا الكوكب منذ أن تكوّن الى ان ظهر عليه الانسان : أي ما نسميه التطور .

٢ ــ ثم تدريس حياة الانسان البدائي الى ان اهتدى الى حضارة الزراعة في مصر .

٣ ــ وهنا يتحتم اعطاء فكرة عن تاريخ الفراعنة ، لأنه يمثل تاريخ التطور الاجتماعي والاقتصادي والديني في أشكاله الأولى.

٤ ــ يجب بعد ذلك تدريس الأمم القديمة ، كالبابليين والفينيقيين والاغريق والرومان والصينيين والهنود .

٥ ــ ثم تدريس تاريخ العرب مع التشديد على هذه الخطوة ، وذلك لارتباطنا الوثيق بها .

وعلينا ان نحسن عرض تاريخنا ، ونجعله سهل التناول ، على ان يكون خالياً من النواحي المتعلقة بالوقائع والمنازعات والحروب . ونشدد على النواحي التي تتعلق بالحضارة والاجتماع والثقافة والتربية

وأثر العرب فيها وخدماتهم لها . وقد أتينا على شيء من هذا في بحث « حول عدم صلاحية العرب للحياة » .

٦ ـ تدريس القرون الوسطى .

٧ ـ تدريس النهضة الأوروبية .

٨ ـ ثم تدريس التطور الاقتصادي الذي نشأ في أوروبا منذ ١٦٠ سنة ، والذي ما زلنا في سياقه . وهنا نحتاج الى النظرية الماركسية في التفسير الاقتصادي للتاريخ .

٩ ـ تدريس النهضة العربية الحديثة ، وثورة الحسين وما أعقبها من ظهور دول في شتى الأقطار العربية . وتاريخ الحركة الصهيونية وعلاقة بريطانيا بها ؛ ويدخل في هذا كارثة فلسطين وتكوين دولة اسرائيل فيها .

وكذلك من المستحسن تدريس بعض الثورات العالمية كالثورة الفرنسية والأميركية ، وثورات روسيا وتركيا والصين والهند ، لأن بعض هذه الثورات مهدت للرقي ، أو كانت من عوامل الرقي والتقدم .

وفوق ذلك يجب العناية بدراسة تاريخ العلوم والفنون ، وتوجيه بعض العناية لناحية التراث العربي الفكري ، وأثره في تقدم العلوم والفنون ؛ على ان لا تكون هذه المرحلة نقطة الوقوف . بل نقطة الحركة والاندفاع ، تدفع العرب الى الايمان بحيويتهم ،

وقابليتهم ، وامكانيتهم في المساهمة في خدمة الحضارة .

*

و بذلـك يمكن للطالب اذا سار في دراسة التاريخ على هـذا النظام ، ان يفهم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والأخـلاق . وان يكسب من دراسته الجغرافيا والتاريخ توسيع خبرته البشرية ، وتمديد آفاق التفكير ، فتتفتح مداركه ، وتنمو مواهبه ، وتنفتح أمامه أبواب الفهم، مما يساعده على فهم الحاضر ، والاحاطة بمشا كله وتفاعلاته احاطة وعي وادراك ، وجعل المحيط الذي يعيش فيه يصلح للحياة النامية الفاضلة .

(١)

حاجة العرب الى الاسلوب العلمي

●

يجب ان يتحرر العرب في هذا العصر من الماضي ومقاييسه ، ويحرروا عقولهم من التقيد بالأغراض المألوفة ، ويعملوا على تكوين أغراض جديدة . وبذلك يمكنهم ان يتقدموا ويسايروا الحضارة في ركبها ، كما يصبح في مقدورهم ان يقاوموا التيارات المعاكسة لتقدمهم ونموهم فيحفظوا عليهم كيانهم ، ويعيشوا في صميم الحياة ، لا على هامشها ، عاملين منتجين سائرين في طريق النمو المستمر والارتقاء المتواصل . والعرب لا يحصلون على شيء من التحرر من المقاييس الماضية ولا يستطيعون تحرير العقل ، الا اذا اخذوا بالعلم واسلوبه ، وعاشوا بالعلم واستخدموه في التربية . فالطريقة العلمية ، اذا تفهم الطلاب معناها وتشربوا روحها ، تعينهم على فهم الحياة وما يتوصلون اليه من العلم والوثوق منه ، فتنشأ عندهم عقيدة راسخة

وهي انهم يستطيعون السيطرة على الطبيعة سيطرة نافعة للبشر ، فينظرون الى المستقبل بدلا من الماضي ، و يتحررون من المقاييس الماضية والمقاييس غير المضبوطة ، و يكون نموهم متصلاً ومستمراً .

لقد نزلت كارثة فلسطين بالعرب أجمعين ، وكانت نتيجة حتمية للأوضاع والأساليب التي اتبعها العرب في الجهاد والحياة ، فهي بعيدة عن العلم ، لم تقم على أساس ، بل تقيدت بمقاييس الماضي وأغراضه ، فكانت الفوضى في الأعمال ، وكان الارتجال في السياسة والحركات .

ان عدم اتباع الطريقة العلمية في الحياة وفي حل القضايا الاجتماعية والمشاكل السياسية قد ادى الى الارتجال الذي نراه متغلغلاً في أعمال العرب ونواحي نشاطهم . فلو كان المسؤولون هنا وفي البلاد العربية متشبعين بالروح العلمية مدركين لأهمية الاسلوب العلمي واثره في الحضارة الحالية لساروا في الحياة على أسس من الأرقام ، ولأعدوا امكانياتهم ونشاطهم على دعائم من العلم والدقة .

والذي لا ريب فيه ، ان جهل العرب بالطريقة العلمية ، وابتعادهم عن العلم ، قد مكن الأعداء منهم ، واكسبهم الجولة الاولى على العرب ؛ وكيف لا ينتصر الأعداء وقد تسلحوا بالعلم ولجأوا الى أساليبه وطرقه فاستعملوها على نطاق عريض ، بينما سار العرب على المقاييس الماضية ، و بأسلوب تحيطه الفوضى ، خال من الرقم والدقة ،

فلم يلجأوا الى الاستقراء في معالجة المشاكل والقضايا، كما انهم لم يعتمدوا على البحث والدرس والرقم في اعمالهم وتعيين اتجاهاتهم وأهدافهم .

ولا شك ان هذه الاوضاع والفوضى ، وهذا البعد عن الاسلوب العلمي ، قد نتجت عن الجهل والتقيد بالماضي ومقاييسه، وعدم تقدير العلم واسلوبه وأثرهما في الحياة والعمران .

يجب ان يدخل العلم في السياسة ، وان يتشبع الذين يشتغلون بها بروحه ، ليكون نتاجهم مثمراً وفي مصلحة المجموع . فالسياسي الذي يسير على الاسلوب العلمي ، ويعتمد على الاحصاءات والرقم في حل القضايا ومعالجة المشاكل، لا يرتجل ولا يتقيد بالاساليب الماضية، وينظر دائماً الى الامام ، ويكون في نشاطه وأعماله متجدداً نامياً يعتمد على الوجدان والتعقل ، لا على العواطف والارتجال . والعرب في حاجة قصوى الى هذا الطراز من السياسيين الذين يحملون عقلية احصائية وروحاً علمية ولا يعجزون عن المعالجات العلمية للمشاكل .

وقد قال المستر ايدن سنة ١٩٤١ في خطاب الافتتاح الذي ألقاه في مؤتمر العلم والتنظيم العالمي : « .. ان من الخير ان تتعاون السياسة مع العلم ، وان من الخير للامم ان يكون بيد العلماء الكثير من المناصب العليا فيها لتوجيهها توجيهاً علمياً .. »

ان هذا العصر لهو عصر العلم ، فمن لم يأخذ بالعلم ويسر على

طريقه ، ويتبع أساليبه ، فقد تنكر لروح العصر ، وحاد عن التقدم وقاوم تيار الحضارة ، وعندئذ ينتهي به المطاف الى الخمول والموت . والأمة التي تبغي حياة ، وتريد المحافظة على كيانها و بناء مجتمع فعال منتج ، عليها ان تستخدم العلم في التربية لينشأ جيل ذو عقلية مرنة تؤمن بقدرتها على تسيير الأمور ، واحداث تقدم في ميادين الصناعة والاجتماع . والتقدم لا يكون حيوياً ومنتجاً فعالا الا اذا قام على أساس من الأسلوب العلمي الحديث الذي يساعد في السيطرة على وسائل العمل ، ويمهد للاختراع والاكتشاف .

ولهذا وجب على المسؤولين التشديد على الطريقة العلمية وادخالها في المناهج التعليمية والاهتمام بالنواحي التجريبية من العلوم الطبيعية، فتتحرر العقول من التقيد بالأغراض المألوفة ومن المقاييس غير المضبوطة ، فتنطلق في عوالم النمو والتقدم ، وتتفتح بصيرة الانسان لفهم المشكلات القائمة ، ويستنير ذهنه وتنكشف أمامه الحقائق التي تساعده على ادراك ما يجري حوله في عالم الاقتصاد والعمران ، وان الثورة الصناعية هي ثمرة العلم التجريبي ، والاختراعات ليست سوى شواهد على تطبيق العلم على الحياة ، وقد خرجت من الأسلوب العلمي ، ونبعت من الحقائق التي كشف عنها هذا الأسلوب .

ولا تقف مزايا الطريقة العلمية عند هذه الحدود ، بل ان هذه

الطريقة تساعـد على ازالة آثار التقاليـد والعادات ، وتهيء للنمو المستمر والتطور المتواصل ، فتجنب المتشبع بروح العلم كثيراً من الارتباك الذهني في السياسة والاقتصاد ، مما يساعد على حل المشكلات والقضايا حلاً سليما ، يقوم على الاستقراء والرقم والتجربة والتمثيل .
وفوق ذلك فالأسلوب العلمي ـ أو الطريقة العلمية ـ هي في صميمها مدرسة للخلق العالي ، ذلك لأن قواعدها التجرد عن الهوى ، والانصاف بين الآراء ، والصبر ، والمثابرة في التجربة والامتحان ، ونكران النفس في سبيل الحقيقة . وهذه الصفات التي يجب توفرها في الباحث ، هي في الواقع الصفات التي تسير مع الخلق العالي .

ومن هنا تتجلى الفوائد المادية والمعنوية التي يجنيها الطلاب من تشبعهم بالروح العلمية ، وتفهمهم للاسلوب العلمي ، وتبصرهم بمعانيه وادراك أثره في تقدم الفرد والمجموع .

وخلاصة القول : اذا أراد العرب ان يعيشوا في القرن العشرين في بلادهم أحراراً ، منتجين ، عاملين ، فعليهم ان يعيشوا بالعـلم ، وعلى أسس من الارقام ، و يتبصروا بمعاني الاسلوب العلمي ، و يسلموا زمام أمورهم لعقليات علمية ، لتتألف من ذلك حكومـات تقدر العلم والنظام والارقام ، وتعرف كيف تسير بالمجتمع العربي في طريق النمو والارتقاء ، وتخرج به من الظلمات والخمول الى النور والحياة .

(٢)

الرقم أساس النجاح

●

ان هـذا العصر هو عصر العلم ، فآثاره بادية في كل مكان ، وأصوله متغلغلة في ما جل من الشؤون وما هان. وأصبح الانسان في القرن العشرين لا يعيش الا في جواء العـلم ولا يسير الا في ركابه وعلى طريقه ، تحيطه الاختراعات وتكتنفـه الاكتشافات من كل الجوانب .

لقد تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير بعيد الأثر في الحياة والعمران ، فقد قضى على المسافات ومحا آياتهـا ، وأتى على معجزة الاتصال بين الاقطار فجعلها طوع اشارته . كشف المجاهل وجفف المستنقعات وأروى الصحارى ومهد الادغال وأباد اكثر الامراض ، فاذا الارض اكثر تراميا وأرجاؤها أعظم اتساعاً . فتح أبواباً كانت مغلقة ووصل الى نتائج ما كانت لتخطر على بال انسان . وتمـكن

من السيطرة على مصادر الطاقة بأشكالها وأنواعهـا بما فيهـا الطاقة الهائلة من تحطيم الذرة وتهشيمها ، فنمت الثروة العامـة نمواً عظيما ، وطغت الاكتشافات ، وانهالت الاختراعات ، من عائم على الماء ، وسابح في الهواء ، وسارٍ وراسٍ على الارض وتحت الارض ، ومن عيون مكنت الانسان من رؤية ما لا يرى ، وما لا يمكن ان يرى من صغار الاشياء المتناهية في الصغر في عالم الاحياء الدقيقة ،و بعيدها المتناهي في البعد في الفضاء في أعماقه السحيقة . ومن عيون تنبأت بالاجسام والمسارات ، وكشفت القوانين التي تسود الكون وتسيطر على حركاته . ومن كاشفات تنبيء بالقادم ، وتحذر منه ، وساحرات تنقل على أمواجها الاخبار والانباء والصور حتى أصبح الكثيرون في هذا العصر يتمتعون بأسباب من الرخاء والرفاهية والترف لم يحلم بها أحد في الماضي مهما جمح به الفكر وحلق الخيال .

وما كان للعلم ان يتقدم هـذا التقدم العجيب ، وان يكون له هذه الآثار البعيـدة ، لولا الاسلوب العلمي والرقم ، فهما الاساس الذي بنيت عليه الحضارة الحالية في نواحيها المتعددة من اقتصادية وعمرانية واجتماعية .

لقد قلب الاسلوب العلمي الاوضاع ، وغير نظرة الانسان الى الكون والحياة ، فتكشفت الحقـائق وزال الغموض عن كثير من

الظواهر والحركات ، وأصبحت التجربة والمشاهدة والدقة والآلةهي الخصائص المميزة للحضارة الحالية عن كل حضارة سبقت ، فاعتمادها على الرقم أكسبها صفة الدقة وجعل في الامكان تطبيق الاسلوب العلمي في نطاق عريض ، واستخلاص نتائج رائعة وخطيرة أوصلت الحضارة الصناعية الى ما وصلت اليه من دقة قاربت حدود الكمال، فأتت بالعجب والسحر .

ان الاختراعات التي ينعم بها الانسان في هذا العصر ، والاكتشافات التي قلبت الاوضاع، تقوم على الرقم والاسلوب العلمي. قال كانت Kant : « .. يكون العلم دقيقاً اذا استعمل العلوم الرياضية في بحوثه .. » ولم يستطع العلماء ان يستفيدوا من كثير من القوانين في الطبيعة والكيمياء الا بعد ان افرغوا هذه القوانين في قالب رياضي لحمته الارقام وسداه المعادلات . ولقد بلغ علما الكيمياء والفيزياء درجة كبيرة من الدقة والكمال بفضل الارقام . ولو جردنا هذين العلمين من رياضياتهما ومعادلاتهما والارقام لما كان هناك صناعة على هذا النطاق الواسع ، ولما كان هناك تقدم في الآلات والادوات التي مكنت الانسان من السيطرة على الطبيعة واستغلالها لما فيه خيره ورفاهيته .

ان هذا العصر هو عصر الهندسة وعصر الآلة ـ وهذه في حاجة

الى الارقام ، ولا يمكن الاستفادة منها او تطبيقها الا بذلك . قال فوس Voss : « .. ان مدنيتنا التي ترتكز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على أسس من العلوم الرياضية .. » فالهندسة بأنواعها والملاحة والصناعة ـ كل هذه تحتاج الى الرقم ولا يمكنها ان تستغني عنه ، بل ان أسس انشائها تقوم على الارقام والمعادلات . وما يقال عن هذه يمكن ان يقال ، الى حد ، عن علوم اخرى . فان هذه كلما تقدمت ، وكلما استطاعت ان تدخل الارقام في بحوثها اقتربت من الدقة والكمال .

ولقد امتد أثر الارقام الى ابعد من ذلك ، فلم يقتصر على الاختراعات والآلات فحسب ، بل شمل الحياة كلها في سائر الاعمال وعديد الاتجاهات ، واصبح الاحصاء والاعتماد على الرقم أساس التشريع والمشروعات ، وعليه يسير الاقتصاد والتعليم والصناعة حتى أصبح تقدم الامة يقاس بمقدار ما تملكه من عقليات احصائية تتقيد بالرقم ، وتبني بالرقم ، وتستنتج بالرقم ، وتبتكر وتنتج على أساس الرقم ، وتجري في معاملاتها على الرقم والاحصاء . فلا تقدم لامة اذا لم تجعل الاحصاء قاعدة حياتها ؛ بل ان عدم تقيدها بالرقم وسيرها في الحياة في خطوط لا ترتكز على أسس احصائية سليمة ، لا يدفعها الى التقدم ، بل يوقف نموها ، ويؤخرها عن مسايرة الحضارة في ركبها.

والعرب في هذا العصر متخلفون عن ركب الحضارة ، لم يتقيدوا في تعليمهم بمنهاج خاص ، ولم يضعوا هدفاً واضحاً يسيرون نحوه ، كما انهم لم يدركوا أثر الرقم والأسلوب العلمي في الحياة والعمران ، فكان من ذلك هذه الفوضى التي نراها متغلغلة في سائر نواحي حياتهم ، والبلبلة التي نلمسها في اتجاهاتهم ، وهذا الارتجال الذي تميزت به اعمالهم ونشاطهم،فوقعوا في مشاكل وكوارث نزعت الثقة من أنفسهم بأنفسهم ، وزعزعت ايمانهم بقابليتهم للحياة ، وكادت تؤدي بهم وتعصف بكيانهم . فليس هناك من شك في ان سياسة الارتجال التي سار عليها العرب ، هي التي جرّت الويلات على فلسطين والعالم العربي . ولسنا بحاجة الى القول ان هذا الارتجال دليل الجهل والفوضى والغرور . فالعلم والتبصر والارقام لا تجر الى الكوارث والمآسي ، بل تؤدي الى فهم صحيح للاوضاع ، وحلول ايجابية تمهد الى الاستقرار والتقدم .

*

ان العرب بحاجة الى عقليات احصائية تعنى بالرقم والاسلوب العلمي ، وتقيد نتاجها وحيويتها في دائرتها ليتمكنوا من مسايرة الحضارة في مختلف ميادينها من عمرانية واقتصادية واجتماعية .فالعالم الآن يتحرك بالارقام ويتقدم بالعلم ، وقد أصبح العلم من ضرورات

الحياة ، لا تستقيم الامور الا على طريقه ، ولا تصلح الحياة الا اذا روعيت أساليبه وتقيدت بدائرته وأرقامه . والامة التي لا تعنى بالعلم ولا تسير في ركابه ، لا يمكنها مجابهة الحياة ومقاومة تيارات الرجعية وعوامل التدهور والانحلال ، وهي تعرض كيانهـا لخطر الزوال ، وامكانياتها للاستغلال والاستعمار .

والعرب وهم على أبواب نهضة وفي أول مراحل الوعي ـ عليهم ان يتسلحوا بالعلم و يتفهموا أسلو به وطريقته ، و يطبقوا ذلـك في سائر المرافق . وعلى المسؤولين في البلاد العربية ان يضعوا العلم في المقام الأول من حياة الأمـة ، وان يحشدوا مواهبهم وجهودهم في رفع المستوى العلمي ، والأخذ بأسبابه وأساليبه ، والعمل على تطبيقه واستخدامه في مختلف الشؤون الاقتصادية والعمرانية . بذلك يسايرون الحضارة في سيرها و يكونون قد هيأوا العوامل التي يقاومون بها الاستعمار بأشكاله وألوانه ، وزودوا أنفسهم بأدوات التحرر من المرض والفقر والجهل ، كما مهدوا لايجاد جيـل جديد يؤمن بالعـلم والرقم ، و يعرف كيف يستغل مواهبه وامكانياته في سبيل المجموع وتقدمه ورفاهيته ، و يعمل مع العاملين المنتجين على خدمة الحضارة واعلاء شأن الانسانية .

موقفنا من العلم

•

لا حياة للعرب الا بالعلم ، ولا نجاح لهم الا اذا اتبعوا طريقته وساروا سيرته . فمن لم يساير روح العصر ويأخذ بأساليب العلم ، فقد ضل الطريق وبقي بعيداً عن ركب الحضارة ، لا يرجى له حياة في هذا العالم النامي المستمر في التقدم والارتقاء . وكما سبق القول ، ان الحياة في الأقطار العربية تتطلب تغييراً في الأوضاع وانقلاباً في الأساليب يتلاءم والتطور الخطير الذي أصاب العالم في سائرالنواحي المادية والمعنوية .

وعلى العرب في هذه الفترة الدقيقة من حياتهم ان يتسلحوا بالعلم وأساليبه ، وان يدركوا ان العلم لهم هو « كل شيء » في هذا الوجود ، حتى اذا تفهموا روحه وتقيدوا بأساليبه خرج عن دائرة « كل شيء » فيصبح العلم وحده غير كاف للوصول الى حياة فاضلة كريمة ، اذ يجب عندئذ ان يسير العقل مع القلب والعلم مع الايمان واليقين .

لقد تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير في الأوضاع والمرافق . فقد غزا جميع نواحي الحياة ، صغيرها وكبيرها ، جسيمها وتافهها ، ودخل في الطعام والشراب ، في الترف والنعيم ، في الحقل والبيت ، في الحرب والسلم . وأصبح العالم لا يعيش الا في جو العلم ، ولا يسير الا على طريقه ، تحيط به الاكتشافات ، وتكتنفه الاختراعات ، فآثار العلم بادية في كل مكان ، وأصوله متغلغلة في ما جل من الشؤون وما هان .

سرح الطرف وانظر ما أخرجه العلم من محيرات ومعجزات في عالم الصناعة والآلات ، تجد ان العلماء قد استغلوا الطبيعة والكيمياء والهندسة وما اليها ، فأتوا بالكهرباء وقالوا لها كوني نوراً فكانت ، كوني ناراً فكانت ، كوني حركة فكانت المحركات تسير في ركابها القاطرات والسيارات والطائرات ، كما تدير الآلات ، تعمل ما يعمله الانسان بيديه وما لا يستطيع ، ولكن بقوة وعزيمة ودقة قاربت حدود الكمال .

ثم أتى الى الأمواج اللاسلكية ، وجعلها رهن ارادته ، فاذا المستحيل ممكن بل واقع ، واذا الانسان يملأ بها الجواء ، تحمل له الأنباء والأخبار والصور . واتجه العلماء الى الانسان وجسده فتمكن العلم من كشف بعض أسرار الحياة وقواعد الصحة وأسباب الأمراض

ووسائل العلاج ، فتفنن في صنع الأدوية والأمصال ، واستخرج من العفن البنسلين والفينسلين وغيرهما ، فأتى بالعجب العجاب من فتك بالجراثيم والأمراض وابادة آثارها وما تلحقه من آفات .

ولم يقف الغرب عند هذه الحدود ، بل أقام الزراعة والفلاحة والاقتصاد والتجارة والتعليم والسياسة على أسس من العلم ، فدانت هذه لمآربه وغاياته ، فنجم عن ذلك تقدم مادي لم يخطر على بال انسان .

واقتحم العلماء الصعاب ، وطرقوا المستحيل من الأبواب ،فاذا الناس حيارى ذاهلون من التقدم العجيب الذي أصاب البحوث الذرية ، فالذرة المنيعة التي بقيت مستعصية على جبابرة العقول ، قد صدعت للعلم واساليبه بعد مقاومات عنيفات شديدات ، فتهشمت معاقل الذرة وتحطمت ابوابها ، فاذا الهول ينبع منها ، والدمار يتدفق من ثناياها ، واذا العالم امام عصر جديد هو عصر الذرة ، وهو في الواقع بداية لتحول خطير في العلم وتطبيقاته التي ستكون لها آثار بعيدة في سير الحضارة واتجاهاتها ومفهومياتها .

وكذلك توجه العلم في الغرب الى الشرق،فدرسه وخبر أحواله، ورأى ان من حقه استعماره واستغلاله كما يستغل الأرض ويستعمرها. وهكذا كان وهذا ما هو جار الآن،فاذا الشعوب كالحديد والنحاس،

تستغل لحساب الأمم ذات القوة والبأس ، وتسخر لمصالحها وغاياتها . ذلك لأن الغرب سار على مقتضى العلم يستخدمه في الحياة والعمران، بينما الشرق بقي بعيداً فلم يسر في حياته وفق العلم ، ولم يدرك بعد ان العلم هو الذي يدفع الأمم دفعاً في مضمار التقدم ، وان لا حياة لأمة تعيش بعيدة عن العلم وآثاره ، ولا كيان لشعب لا يؤسس حياته على العلم ، فهو مفتاح النهوض ، وهو أسّ الارتقاء في معارج المجد والخلود .

هذا هو طابع المدنية ـ طابع العلم ـ الذي دخل في صميم الحياة في الغرب ، وانبثت حقائقه في شؤونه ، العملية منها وغير العملية .

هذا هو الوجه اللامع في الحضارة الحالية . ولكن مهلاً ... هناك ناحية ضعف أدت الى ما نراه في المدنية من افلاس، ومن عدم ملاءمتها للحياة الهادئة القائمة على قواعد الخلق والروح والفضائل .

لقد استغل العلماء العلم بعيداً عن قوى الروح والقلب ، فأعلوا من شأن العقل والعلم علواً كبيراً ، وحكموا العقل في القلب كما حكموا العلم في الدين ، فنتج عن ذلك ما نراه من فوضى خلقية وحروب طاحنة رهيبة ، فاستأسدت الغرائز واسرفت المطامع ، فاذا آلة العلم تتجه نحو التدمير والتخريب والفتك والتقتيل، حتى اصبحت القوة مقياس تقدم الأمة وعظمتها . ولو تدخل القلب واتجهت آلة

العلم نحو البناء والاثمار والخير والكمال ، لسمت المدنية وارتفع شأن الانسانية ، ولسار العلم في خدمة الحياة واعلاء مقامها .

ومن هنا يتبين ان الأمم لا تصلح الا بالعلم السائر مع القلب والخلق وان التقدم الذي وصل اليه الانسان ـ وقد توافرت فيه اسباب الرفاهية والرخاء ـ لم ينج الانسانية من المصائب المحيطة بها، ولا من الأهوال التي تنصبّ عليها .

هل قضى هذا التقدم على المشاكل العديدة التي يعانيها المجتمع؟

الواقع المشاهد ان المدنية الحديثة قد زادت المشاكل تعقيداً والتواء ، كما سلبت العالم راحة البال وطمأنينة النفس ، ذلك لأن حكمة الانسان قد قصرت عن تثقيف الرغبات والنوازع الانسانية، غير حاسبة حساباً للخلق العالي ومعاني الحق والواجب والمثل العليا .

والذي يخشاه كبار الفلاسفة ان الحكمة البشرية اذا افلست في النهوض بعبء ادماج العلم في أغراض الروح والخلق ، استمرت هذه القوى في اتجاهها نحو التدمير ، وهددت بزوال ما بقي من معالم الحضارة وآثار الفكر والعقل .

وعندئذ يسكن العقل المصنع ، ويطغى العلم على القلب والماديات على المعنويات فتبقى الحضارة على مشاكلها ، والناس في قلقهم ، والافكار في اضطرابها ، وتتضاعف متاعب الانسان وتزيد تعقيداً

فلا يخرج من فوضى الا ويجابه فوضى انكى واشد ، فلا راحة ولا امان ، ولا سلام ولا اطمئنان . وعلى هذا فالعلم وحده لا يكفي لوضع حد لشرور العالم وآثامه ، والعلم وحده لا يكفي للخلاص من الصعاب المحيطة به من كل جانب . يجب ان يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلي من شأن المثل العليا والأخلاق الفاضلة ، كما يجب ان تقوم الحضارة على المعنويات وتوفق بين العلم والروح كما تلائم بين العقل والقلب .

والحياة لا تكون آمنة ، يسودها رحمة وسلام ، اذا طغى العلم على الارواح والاوضاع ؛ بل انها لا تكون نامية رائعة اذا لم تسر على وحي القلوب ، ولن يستطيع الانسان ان يرد عن الحياة الآثام والشرور والمفاسد اذا حكم العلم وحده منصرفاً عن معاني الخير والجمال .

ان في العلم قوة عظيمة ، اذا لم تحط بسياج من الخلق والروح انقلبت الى قوة هدامة مدمرة . وعلى المفكرين ان يعملوا على حفظ هذه القوة ضمن هذا السياج، لتجني منها الانسانية قوى الخير والبناء والاثمار .

وعلى المفكرين والمعاهد والمهيمنين على التربية والتعليم ان يحاولوا المساهمة في هذا السبيل ويسيروا بجهودهم في طريق ادماج

العلم في اغراض الروح العليا ، حتى يعرف النشء كيف يعيشون وكيف يقومون بواجبهم ويؤدون رسالاتهم بنفحات روحيـة وعلى أساس من الخلق متين .

يجب ان يسير التوجيه في المعاهد والمؤسسات التربوية على أساس ان العـلم ليس كل شيء في الوجود ، وكذلك الأخلاق والمعنويات ليست كل شيء في الوجود ، وان العلم مع الأخلاق والمعنويات هي كل شيء ، وبها تعزز الحياة وتزدهر .

ان من الواجب المحتم على المسؤولين في سائر الأقطار العربيـة ان يعملوا على اخراج جيل يؤمن بالعلم والخلق وبحق العرب في الحياة الكريمة ، كما عليهم ان يجعلوا المناهج عملية ذات أثر فعـال في تكييف الشباب وانماء القابليات فيهم ، وزرع الايمان بالمستقبل والتقدم المستمر ، فيخرجون الى الحياة وهم يحملون رسالة التقـدم والنمو وفكرة الشعور بالمسؤولية تجاه المجموع ، وقد آمنوا بأنهم عماد أمتهم ، بهم يرتفع شأنها وبهم تقوى ويشتد ساعدها ، وتتجـدد حيويتها ، وانهم من وثبات مجدها ومن خفقات قلبها ، وان أعزز الناس حياة وأنجحهم اكثرهم تقيداً بأساليب العلم وطرقه وأعمقهم تفكيراً وأنبلهم شعوراً وأصلحهم عملا ...

ان الجماعة انما تصلح بالخلق والضمير والعلم معاً . وان النفوس

لا تقوى الا بتذليل الصعاب ومجابهة المتاعب والعقبات والأخطار ، وان من يقف أمواله وأيامه وجهوده على امتاع نفسه لا يعرف الحياة لأنه لا يعرف الوطن .

وأخيراً ، ان العلم لا يزكو ولا يثمر ولا يصبح أداة خير و بناء واصلاح الا على أساس من الروح والخلق العالي ، وان الرجل العظيم هو الذي يرشد بالمعرفة والعطف ، لا من يستفز بالتحكم والبطش ، وان أعظم الجماعات اكثرها اتباعاً للعلم وأقواها قلباً ، وأحياها ضميراً .

(١)

بداية المعرفة والفهم

●

ان الكارثة التي أصابت العرب في فلسطين قد أزالت الغشاوة عن الأعين وأزاحت بعض الغبار العالق بالعقل العربي ، فتكشفت الحقائق ، وانكشفت أمور أذهلت الناس وتركتهم في غيبوبة من هول الصدمة التي أصابتهم .

والعرب ـ وقد بدأت اليقظة تتحرك فيهم ، والوعي ينمو في عقولهم ـ راحوا يفكرون في الحال التي وصلوا اليها ، ويدرسون العوامل التي أدت الى الهزيمة .

لقد تخيل للعرب انهم يستطيعون مقاومة اليهود ودحرهم،وان هزيمتهم قريبة المنال لا تحتاج الى كبير جهد أو عناء ، فساروا في مقاومتهم على هذا الأساس ، ونسوا ان الحديد لا يفله الا الحديد ، والعلم لا يقابل الا بالعلم ، والتنظيم لا يقاوم الا بالتنظيم ،.فانتصر

عليهم الأعداء . وليس غريباً ان ينتصروا وان يكون انتصارهم ساحقاً ، بل الغريب ان يكون الأمر خلاف ذلك ، فينتصر العرب وأسلحتهم ما نعرفه من جهل وغرور وفوضى ، وينهزم الأعداء وسلاحهم ما نعرفه من علم وفهم وتنظيم . وكيف يمكن للعرب ان يحالفهم النصر وهم لا يملكون من أدواته شيئاً . فالفشل الذي أصاب العرب في فلسطين ، نتيجة حتمية للأوضاع ، وللسياسة التي سار عليها المسؤولون ، وللأسلحة التي استعملها العرب في كفاحهم ضد الاعداء والمستعمرين .

وكان من نتيجة ذلك كله ان غمرت العرب امواج من الآلام النفسية وغير النفسية ، واستولى عليهم القلق ، واحاطتهم الفوضى من كل جانب ، فاذا هم في بحار من المشاكل المادية والمتاعب المعنوية ، أدت الى الشك بالقابليات ، وفقدان الثقة بالمستقبل ، مما ينذر بشر مستطير قد يودي بالحيوية والمواهب .

وهنا تبدأ نقطة التحول في العقلية العربية ، فان في هذه الآلام ما يدل على ان العرب بدأوا يتعرفون على مواضع النقص فيهم ، ويكشفون عيوبهم بأنفسهم ويتلمسون مواطن الضعف في تصرفاتهم وحركاتهم .

وهذا ـ كما أرى ـ بداية المعرفة والفهم اللذين يستحيلان مع

الأيام الى فكرة ، فعاطفة ، فارادة: فكرة النهوض وتغيير الأوضاع، وعاطفة الاندفاع لخلاص البلاد وانقاذها ، وارادة العمل والاصلاح والبناء . ومن هنا يتكون أسلوب الحياة ـ وهو أسلوب الكفاح والنضال في سبيل تحقيق هدف نبيل ، هو خلاص الوطن ، وغاية سامية هي السير بالبلاد في ركب الانسانية مع الصالحين المنتجين .
ويدعوني الاخلاص الى التصريح بأني لا أتشاءم من الآلام المستحوذة على النفوس في هذه الايام ، بل أرى فيها بوادر وعي ونقطة تحوّل في التفكير ، وبداية فهم للأوضاع وعيو بها ، مما يحفز المتألمين الى العمل ، والسعي لاصلاح المجتمع والتخلص من النقائص ونقاط الضعف .

لقد بدأ العرب ـ كما يتجلى في اتجاهاتهم في سائر ديارهم ـ يدركون ان الاستقلال والحياة الكريمة في هذا العالم لا تأتي عفواً ، ومن دون ثمن . فلهذه مقدمات وتمهيدات تقوم على العلم والحرمان.

ان التفاؤل قد وجد مقاماً في نفسي حين لمست ان العرب ـ بعد الكارثة ـ أصبحوا يدركون ما للعلم من أثر في النهضات وفي كسب الحرب والسلم على السواء ، وحين ثبت لديهم انه لا يمكنهم المحافظة على كيانهم ومقاومة الاخطار التي تنصب عليهم من الغرب والاستعمار ، الا اذا تشربوا روح العلم ، وساروا سيرته ،

واتبعوا طريقته ، وتقيدوا بأساليبه فبدأوا يبذلون الجهد والاموال في التعليم ، وعلى نطاق عريض ، كوسيلة من وسائل النمو ، والتقدم .
وقد سبق في غير هذا المكان ، ان أوضحنا الاسس التي يجب ان ترتكز عليها مناهج التربيـة والتعليم ، لضمان النمو المتواصل ، والتطور المستمر ، وتنمية القابليات ، والشعور بالمسؤوليات .

*

ان العرب ــ بعد ان اصابهم ما اصابهم من كارثة فلسطين ــ بدأوا يتلمسون النجاة ، والطرق المؤديـة الى القوة ، لوقف الأخطار وازالة العقبات من طريق تقدمهم ، ذلك لان الأحداث قد علمتهم ان لا حياة لخامل وضعيف ، ولا كيان لجاهل وهزيل ، فكان اهتمامهم بالقوة عظيماً ، وراحوا يبحثون عن مصادرها ومنابعها في العلم والصناعة ، فخصصوا القسم الأكبر من ميزانية الدولة (في بعض الاقطار العربية ولا سيما مصر) للدفاع والتعليم ،وانشاء المصانع والمعامل ، وتشجيع البحث العلمي والانتاج .
وهذا وعي لم يكن ليحلم به العرب قبل حوادث فلسطين .
ولست بحاجة الى القول ان هذا الوعي ينمو وهو يسير في الاتجاه السليم . ولكن لن يثمر الثمار الغزيرة ، ولن تكون له النتائج المرجوة ، الا اذا تحرر العرب من الماضي ومقاييسه ، وحرروا عقولهم

من التقيد بالأغراض المألوفة ، وكونوا لانفسهم أغراضاً جديدة ، ووضعوا العلم في المقام الأول من حياتهم ونشاطهم .

لقد تبين ان عدم تقيد العرب بالعلم واساليبه التطبيقية ، وجهلهم أثر الرقم في الحياة والعمران ، قد ادت الى الارتجال الذي تغلغل في اعمال العرب في سائر نواحي نشاطهم وحركاتهم ، فكان الطابع الذي تميّزوا به ، ومن العوامل الرئيسية التي اشاعت الفوضى في قضاياهم ، واتجاهاتهم ، واهدافهم ؛ وجعلهم يتخبطون في حل مشاكلهم ، فوقعوا في الهوة التي حفروها لأنفسهم بالجهل والغرور والارتجال .

*

لقد بدأ العرب يؤمنون بان العلم واسلوبه من عوامل التقدم والعمران ، وان الرقم والعقليات الاحصائية من ادوات النصر والمقاومة الناجحة ، كما اصبحوا يدركون ان الامة التي لا تسير في قضاياها ومعاملاتها على الاسلوب العلمي ، ولا تجعل من الرقم والأحصاء قاعدة حياتها ، لا يمكنها ان تقاوم عوامل الفوضى والانحلال ، ولا تكون جديرة بالحياة الكريمة الفاضلة . بل انها بالعلم والرقم والاحصاء تتحرر من الفوضى وتتخلص من الارتجال ، وتقاوم الاستعمار بألوانه واشكاله ، وتتمكن من النمو والتقدم والسير في ركب الحضارة .

وفي رأيي ان العرب اذا ساروا في حياتهم على أسس من العلم والرقم والاحصاء ، وتقيدوا بالاساليب العلمية ، فسيؤدي بهم هذا السير الى مفهوميات جديدة تدفعهم الى التكتل والاتحاد والانتاج المشترك في الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

*

بذلك يتمكن العرب من النهوض من كبوتهم ، واسترجاع بلادهم وكرامتهم . و بذلك يحافظون على حقهم في الحياة ، و يقاومون عوامل الفناء والابادة ، و يعيشون في صميم الحياة (لا على هامشها) صالحين منتجين .

*

وخلاصة القول : ان العرب – وهم في بداية وعيهم ، وعلى عتبة يقظتهم – قد بدأوا يدركون اهمية العلم والأسلوب العلمي والرقم في الحياة والكفاح والعمران . وهنا تبدأ نقطة التحول في تفكيرهم واتجاهاتهم . ويجب ان يفهم العرب انهم اذا ارادوا ان يعيشوا في القرن العشرين احراراً منتجين عاملين ، عليهم ان يعيشوا بالعلم وعلى اسس من الارقام – كما سبق القول – ويسلموا زمام امورهم لعقليات علمية تقدر أهمية العلم والنظام والرقم ، وتعرف كيف تسير بالمجتمع العربي في طريق النمو والتقدم ، وتخرج به من الظلمات والخمول الى النور والحياة.

(٢)

الامكانيات في البلاد العربية

•

لقد سبق أن تناولنا في فصول سابقة الكارثة التي حلت بالعرب في فلسطين والعوامل التي أدت اليها ، كما بحثنا في العلاج والأركان التي يقوم عليها البناء والنهضات ، وكيف ان الكارثة قد أزالت بعض الغبار العالق بالعقل العربي ، وكيف انها كشفت الحقائق ، وجلت الامور ، وأنارت سبل البناء المثمر، وطريق الكفاح المنتج ، مما دفع العرب في سائر ديارهم الى تلمس الوسائل البنائية التي يتمكنون بها من مقاومة الاخطار المحدقة بهم من كل جانب ، ومسايرة الحضارة في تقدمها وركبها .

وهنا تبدأ نقطة التحول . فلقد تبين ان الاساليب الماضية التي سار عليها العرب في كفاحهم ، كانت من العوامل التي أدت الى الكارثة ، وان عليهم تغيير هذه الاساليب واحداث انقلاب فيها

على أسس من العلم والتنظيم والرقم . هذا اذا ارادوا الخلاص وانقاذ البلاد .

والآن ... بعد أن بدأ العرب يفكرون جدياً في النهوض من كبوتهم واسترجاع كرامتهم، عليهم ان يتركوا سياسة القضاء والقدر والاستسلام كما عليهم ان يتركوا الاعتماد على الضمير العالمي والهيئات الدولية .

قد يكون للعرب بعض العذر في عدم اندفاعهم . فهم لا يزالون في ذهولهم ، ولا تزال بعض آثار الغيبوبة تخيم عليهم . ولكن الاخلاص للحق والوطن ، يدفعنا الى الصراحة والقول ان المصلحة الوطنية تقضي عدم استمرار الاوضاع ، كما تحتم الخروج من الذهول والجمود الى الوعي والحركة .

*

على العرب ان يدركوا ان هذا العصر هو عصر الحركة والسرعة . فمن لم يسر الى امام فهو الى الوراء يسير . ومن لم يساير تيار التقدم في الصناعة وسائر مرافق الحياة ، تركه التيار مع المتخلفين المتأخرين ، ومكن الاعداء من استغلاله واستعماره ، ومهد لعوامل الفناء ان تمعن فيه وتسرع في القضاء عليه .

والعالم الآن يعيش في جواء الصناعة وعلمها . فهي الطابع الذي

يتميز به هذا العصر . والأمة التي لا تُعنى بالصناعة ، ولا تعمل على تنمية قابلياتها الزراعية والصناعية ، واستغلال امكانياتها في اعماق الارض ، لا يمكنها ان تعيش وتحافظ على كيانها وكرامتها .

ان العرب يملكون امكانيات واسعة عريضة ، بهرت الخبراء وأدهشت الفنيين . فلقد ثبت لدى الاجانب ان البلاد العربية غنية بامكانياتها المعدنية والنفطية ، وان العالم العربي يقوم على تربة تجري من تحتها أنهار من النفط تحوي اكبر كمية في الكرة الارضية كلها .

*

والواقع ان النفط هو من العوامل الرئيسية التي أدت (ولا تزال تؤدي) الى التنافس بين دول الغرب ، والى اهتمام هذه الدول بالشرق الاوسط ومحاولة السيطرة عليه .

والذي لا شك فيه ان للنفط علاقات مباشرة وغير مباشرة باستعباد الشعوب ، والنكبات التي نزلت بالعرب ، والمصائب التي انصبت عليهم . وعليه يقوم النزاع ، و بسببه تزدحم الاحداث ، وهو من أسباب الحروب الباردة منها والمهلكة .

ومن المؤسف حقاً ان لا يقدر العرب بلادهم ، وان لا يعرفوا امكانياتها ، وان يجهلوا سياسة الغرب النفطية ، فلا يلتفتون الى هذه الناحية الخطيرة ، وهم يصرفون أوقاتهم في الجدل الفارغ في جامعة

الدول العربية وغير الجامعة ، ولا يكلف المسؤولون أنفسهم البحث في النفط وامكانيات البلاد الواسعة ، واستغلال هذه الامكانيات فيما يعود على بني قومهم ووطنهم بالتقدم والرخاء والازدهار .

*

ان الغرب الآن يقوم باستخراج النفط على مدى واسع في بعض البلاد العربية ، وهو يستغل ذلك لمصالحه وغاياته ، وفي مقاومة تقدم العرب وعمران بلادهم . ولو رجعنا الى الأرقام لهالتنا وكشفت عن الجهل السميك الذي يرزح تحته المسؤولون في البلاد العربية قاطبة . فقد جاء في أحد التقارير التي وضعها جماعة من المهندسين الذين زاروا الشرق الأوسط لدراسة الامكانيات النفطية ما يلي : « .. ان صناعة النفط في الشرق الأوسط قد نمت نمواً عظيما لا يتصوره العقل خلال السنوات العشر المنصرمات ، مما يثبت ان النفاطات الراقدة تحت تربته هي أعظم نفاطات الأرض طراً ... وان انتاج النفط العالمي قد مال من مدخره الرئيسي في أميركا الى الشرق الأوسط وسيستقر نهائياً في المناطق العربية . والخبيرون الذين سبقونا الى درس هذه المناطق يقدرون مجموع المدخر النفطي فيها بما يقرب من ألف مليون طن ... »

ولماذا نذهب بعيداً ونرجع الى هذا التقرير . فهناك الأرقام

الملموسة التي تتعلق بانتاج النفط في المملكة السعودية . فقد بلغ انتاج النفط عام ١٩٣٨ حوالى ٦٧٠٠٠ طن ، و بلغ المليونين عام ١٩٤٥ ، وسبعة ملايين عام ١٩٤٦ ، وارتفع هذا الرقم الى تسعة عشر مليونا من الأطنان عام ١٩٤٧ . وصرح أخيراً أحد كبار موظفي المملكة السعودية بان معدل الانتاج اليومي في ثلاثة الأشهر الأولى من العام الماضي بلغ ٤٦١٥٤ طناً . و يقدر الخبراء ان الانتاج السنوي للنفط سيرتفع الى أربعين مليوناً من الأطنان في العام المقبل. هذا عدا ملايين الأطنان من النفط التي استخرجت من العراق والكويت ، والبحرين ومصر . وقد بلغت عام ١٩٤٨ حوالى ثمانية عشر مليوناً من الأطنان . ولقد كان لنفط المملكة السعودية والأقطار العربية أثر كبير في الصناعة في أميركا وانكلترا ، وفي تقرير النصر للحلفاء .

ومن المؤلم ان نشير الى أن العرب لا يستفيدون شيئاً يستحق الذكر من هذه الامكانيات ، بل ان خيراتها ونتاجها تعود الى الشركات الأجنبية ودولها الاستعمارية . فالعرب لا ينالون من هذه الملايين التي تستخرج من بطون الأراضي العربية الا اليسير التافه . ولو كان العرب اكثر وعياً وفهما للأوضاع ، وادراكاً لسياسة النفط، لأحرزوا امتيازات جديدة ولأصابوا من كنوزهم ونفطهم أرباحاً

أوفر من الأرباح الهزيلة التي تجود عليهم بها الشركات والدول الاستعمارية ، ولسخروا هذه الأرباح في التعمير والتعليم والاصلاح .
وأذكر على سبيل المثال ، ان خزينة المملكة السعودية تستقبل كل يوم ما يزيد على مائة ألف دولار ، وهو ما يخصها من أرباح البترول . – هذا المبلغ اليومي (على الرغم من رقامه الستة) ضئيل وتافه بالنسبة الى الأرباح الهائلة ذات الأرقام الفلكية التي تعود على الشركات ودولها من النفط السعودي .

*

ان الامكانيات العريضة الواسعة التي تمتاز بها البلاد العربية ، توجب على العرب ان يتجهوا بعقولهم وتفكيرهم وجهودهم الى النفط ،فهم يعيشون على أرض غنية تجري من تحتها انهار من الذهب الاسود السائل ، وتنتشر في ثناياها المعادن على انواعها والوانها .
ولسنا بحاجة الى القول ان استغلال هذه الامكانيات من حق العرب ، وعليهم ان يستفيدوا منها و يستغلوها في تعمير بلادهم وتقدمها وازدهارها. ولكن ذلك لا يتم الا بالعلم ، واتباع طريقته ،والاستعانة (في باديء الأمر) بالفنيين الأجانب ، وتشجيع الثقافة الصناعية في المدارس والمعاهد، وارسال البعثات لدرس الصناعة وتقدمها في اوروبا واميركا ، لينشأ جيل يدرك اهمية الصناعة في الحياة ، و يعرف كيف

يستغل امكانيات بلاده في البناء والتعمير والاصلاح .

ان السياسة النفطية يجب تقديمها على أي سياسة اخرى . وعلى الجامعة العربية ان توجه عنايتها واهتمامها الى النفط وانتاجه واستغلاله فذلك أجدى على العرب واكثر فائدة ونفعاً .

*

ان تطور اكتشاف النفاطات العربية في الأعوام الأخيرة كان في رأي الكثيرين من العلماء والمفكرين من ابرز الأحداث العالمية ، بل ان منهم من يرى فيها اهمية لا تقل خطورة عن تهشيم الذرة واستخراج طاقتها .

ان النفط عامل رئيسي في تقدم الامم وعمرانها، وفي كسب الحرب والسلم ؛ وهو عصب الدول ومصدر قوتها وعظمتها . ولهذا على العرب ان يدركوا هذا كله و يعلموا انه من الجناية وقوفهم بعيدين عن خيرات بلادهم وكنوزها من المعادن والبترول لتكون نهباً للأعداء والاجانب،يعمرون بها بلادهم و يستخرجون منها رفاهيتهم وعظمتهم ، ونحن لاهون بالسفاسف من الامور ، عاكفون على توافه المشاكل .

ان تيار التقدم سيجرفنا و يقضي علينا ان لم نجر معه ونساير حركته واتجاهاته. وعلى المسؤولين والشباب النير والمنظمات والهيئات

في سائر البلاد العربية ، ان يوجهوا انظارهم الى النفط ، و يدرسوا سياسته، ووسائل السيطرة عليه بالعلم واسلوبه ونشر الثقافة الصناعية، ليتمكن العرب من استخراج خيرات اراضيهم وكنوزها واستغلالها في ميادين القوة والتقدم والعمران .

نقطة الابتداء

الاعداد العلمي والاعداد المعنوي

●

الآن ، وقد وصلت حالة العرب الى ما وصلت اليه من فشل في الحرب وخذلان في دوائر هيأة الأمم المتحدة ، ومن ضياع لهيبتهم وجرح لكبريائهم وامتهان لكرامتهم من الكارثة التي حلت بهم في فلسطين ـ اصبح فرضاً محتوماً على المسؤولين ان يدرسوا عوامل هذه الكارثة ، والأساليب التي اتبعها العرب وأدت الى الخسران المبين في ميادين الحرب والسياسة لينتهجوا نهجاً جديداً ، ويسيروا في كفاحهم على أسس جديدة من تجنب للأخطاء التي وقعت ، وتغيير للأساليب التي اتبعت ، وادخال العلم في سائر مرافق الحياة والعناية بالدفاع وشؤونه .

لقد أبانت الكارثة ان الأساليب التي سار عليها العرب في جهادهم ارتجالية ، ينقصها العلم والرقم ، ويعوزها التنظيم والهدف ؛ فكانت الهزيمة التي مني بها العرب أجمعون في السياسة والحرب ،

وهي نتيجة حتمية لتلك الأساليب . وليس غريباً ان تكون النتيجة هزيمة وانكساراً ، بل الغريب ان لا تكون كذلك؛ وذلك لأن العرب لم يكونوا يملكون من ادوات النصر شيئاً ، بل في واقع الأمر كانت اسباب الكارثة مهيأة عندهم ، ولديهم ادواتها من جهل وغرور وفوضى وارتجال .

والعرب الآن ... وقد بدأت سحب الذهول التي خيمت عليهم تزول، والضغط الذي ران على عقولهم وقلوبهم يضمحل ويتلاشى،اصبحوا يفكرون في نقطة الابتداء كيف تكون ، وفي أي اتجاه يجب ان تتحرك .

وفي رأيي ان تكون نقطة الابتداء ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العلمي ، وفي الآخر الاعداد المعنوي والنفسي .

أما الاعداد العلمي فقد سبق ان اوضحنا أسسه واهدافه من بعث النزعات الارتقائية والشهوات التطورية ، والايمان بالاسلوب العلمي والرقم واذاعة الثقافة الصناعية والزراعية ، لينشأ جيل يؤمن بالتقدم والنمو ، وبرسالته في الحياة ، وقابليته في الانتاج والابداع، ويعرف كيف يستغل تربة بلاده وما في بطونها من كنوز وخيرات .

ولسنا بحاجة الى شرح اهداف التربية والتعليم وغاياتهما ، فقد سبق ان عالجناهما في فصول سابقة . ولكن لا بد لنا من تأكيد

الاهتمام بالعلم ، ومزجه في سائر المرافق فهو من افعل الأسلحة التي تقضي على الفقر والجهل والمرض . وهو فوق ذلك الوسيلة الوحيدة التي يمكن تسخيرها للسيطرة على الطبيعة ، واستغلال الامكانيات الى ابعد الحدود فيرتفع مستوى الحياة بين الناس ، و يزدادون رفاهية وطمأنينة .

ان أولى واجبات الدول العربية ان توجه جل اهتمامها وجهودها الى العلم ونشر التعليم والروح العلمية ، فخلاصها يقوم على ذلك. ولن يشاد كيانها في هـذا العالم المتحرك الا اذا اتبعت اسلوبه وتشبعت بروحه ، واذاعت رسالته .

وعلى الدولة ان تعنى بالبحث العلمي وتشجيع الدراسات العلمية وانشاء مجلس أعلى للبحوث العلمية . وعلى المسؤولين ان يمدوه بالمال وان يسهلوا له الحصول على ما يحتاجه من أدوات وآلات ، فهو الذي يعبّد الطريق لاستغلال امكانيات البلاد ، وهو الذي يوجه الصناعة التوجيه العلمي المثمر ، و يرشد الى انتج الوسائل لاستخدام القوى الطبيعية ، وتسخيرها لخدمة المجموع ، فتنمو الثروة القومية ، وتزداد الموارد ، فتعم الخيرات البلاد ، و يرتفع مستوى المعيشة فيها، و ينتشر في ربوعها الامن والرفاهية .

ولقد أدركت مصر قبل غيرها من الدول العربيـة أهمية العـلم

وأسلوبه في الحياة والصناعة ، فأنشأت مجلساً أعلى للبحوث العلمية والصناعية ، وعهدت بادارته الى شخصيات علمية لها مكانتها ومقامها. والأمل كبير ان يثمر هذا المجلس الثمار المرجوة لتقدم الصناعة واستغلال امكانيات البلاد ، وتنمية مواردها وثروتها . ولا يقف الأمر عند هذه الحدود ، بل قام في مصر من يدعو الى الاشتراك في كل تنظيم دولي يقصد به الاشراف على استخدام الطاقة الذرية ، فيكون لنا ـ كما يقول الدكتور علي مصطفى مشرفة باشا ـ « .. علم بهذه الطاقة وأوجه استغلالها ما يجعل لمصر كلمة مسموعة في المحافل الدولية . وعلينا أيضاً ان نعنى باستخدام هذه الطاقة في مرافقنا الاقتصادية والعمرانية ، وان نساهم في ذلك بجهود علمائنا ومهندسينا ، فلا نأتي في الذيل اذا رتبت الأمم ، بل نتبوأ مكاننا كشعب يحفل تاريخه بكل مجيد في ميدان العلم والعمران » .

والذي نرجوه ان يقوم بين الدول العربية تعاون وثيق في وضع البرامج التعليمية ، ورسم سياسة موحدة في المناهج الثقافية ، بحيث يتسع المجال أمام الطالب العربي لينعم بثقافة علمية في الجهة التي يختارها ؛ كما يجب أن يقوم بينها نوع من تنسيق الأعمال في المجامع ومجالس البحوث العلمية ، فتتبادل المعلومات ، وتستعين بآراء النابهين واللامعين ، وتسترشد بتوجيهات المختصين من علماء العرب

بقطع النظر عن القطر الذي ينتمون اليه .

*

ونترك الاعـداد العلمي ونوجـه الأنظار الى الاعـداد المعنوي والنفسي الذي أشرنا اليه في أول المقال .

على المسؤولين والهيئات الاهتمام بالاعـداد المعنوي والنفسي ، بتوجيه الأمة لقبول الحرمان والتضحيات بكل ما تملك في سبيـل خلاص الوطن والدفاع عن البلاد . والأمـة التي ترضى بالهوان يعصف بها والمصائب تنصب عليها ليست جـديرة بالحياة ، بل ان مصيرها الانحلال والانهيار .

والأمة التي لا تتحرك لما ينتابها من رزايا وتقف جامـدة أمام الأحداث وعوامل الفناء الـتي تمعن فيها ، لن تقوم لها قائمـة ولن ينتصب لها كيان ، وهي تحفر قبرها لنفسها بنفسها ، وتمهد لزوالها من الوجود كجماعة ذات رسالة وكرامة .

والعرب ـ وقد اصابهم ما اصابهم في كارثة فلسطين ـ عليهم ان يتحركوا ، وان لا يقبلوا ماحل بساحتهم اذا ارادوا حياة وكياناً، واصبح من المحتم على المفكرين والمثقفين ان يعملوا على تجنيد الامة نفسياً وعلمياً لمعركة الحياة .

لقد آن للعرب ان يدركوا ان الاستقلال والحياة الـكريمة في

هذا العالم لا تأتي عفواً ومن دون ثمن ، فلهـذه مقدمات وتمهيدات تقوم على الاعداد العلمي والاعداد المعنوي والنفسي ، وعلى الحرمان والايمان بحق الحياة ، وهم لا يستطيعون المحافظة على كيانهم وكرامتهم الا اذا وطنوا أنفسهم على الحرمان من كثير من الكماليات والاكتفاء بالضروريات . وها هم الانكليز قد أتقنوا صناعة الحرمان واعتنقوها مذهباً، حين شعروا أن كيانهم الاقتصادي مهدد ، وان هـذا الكيان لا يشاد الا على حساب الكماليات في الحياة . فكيف بنا وكياننا (كموجودات) معرض للفنـاء والابادة فالعلم والحرمان والايمان بحق الحياة ومسايرة روح العصر في التقـدم والارتقاء كل هذه من العوامـل التي يحتاج اليهـا العرب في بـدء كفاحهم ليتمكنوا من النهوض واسترجاع ما اقتطعه الاعـداء من بلادهم ، والمحافظة على حقهم في الحياة الحرة الكريمة .

لهذا فمن أوجب الواجبات على المفـكرين وأصحاب الامر في الدول العربيـة ان يستعدوا للمستقبل ، وان يقوموا بحشد العقول والمواهب وتوجيهها توجيهاً سليما مثمراً؛ جاعلين نقطة ابتداء كفاحهم ملتقى اتجاهين يتحرك في احدهما الاعداد العلمي والعقلي ، وفي الآخر الاعداد المعنوي والحرمان ؛ فتبذل الاموال وتوجه الجهود الى التربية والتعليم ومزج العلم واسلوبه في الحياة في سائر مرافقها ، والدعوة الى

الحرمان والتدريب العسكري في المعاهد والمدارس وفي القرى والمدن ، وتجنيد جميع الامكانيات والقابليات في سبيل الخلاص ومقاومة عوامل الفناء وتحقيق رسالة الحياة .

واخيراً أقول :

ان العلم والاسلوب العلمي والحرمان والايمان بحق الحياة ـ هي الاركان التي يقوم عليها الخلاص والكرامة والكيان .

هذا ما يجب ان يتفهمه العرب و يؤمنوا به و يعملوا على تحقيقه في سائر الديار والامصار .

فهرست

●

للمؤلف

●

١) تراث العرب العلمي

أصدرته المقتطف بمصر عام ١٩٤١

٢) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية

بالاشتراك مع جماعة من المؤلفين المصريين

أصدرته المقتطف بمصر عام ١٩٣٦

٣) الكون العجيب

من سلسلة اقرأ رقم ١١

٤) الاسلوب العلمي عند العرب

أصدرته كلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول

بمصر عام ١٩٤٦

٥) بين العلم والادب

أصدرته مطبعة فلسطين العلمية بالقدس

عام ١٩٤٦

٦) جمال الدين الافغاني

أصدرته مطبعة بيت المقدس عام ١٩٤٧

٧) العيون في العلم

من سلسلة اقرأ رقم ٧٥

٨) بعد النكبة

اصدرته دار العلم املايين في بيروت

عام ١٩٥٠

يصدر قريباً كتاب (الخالدون العرب)

صدر حديثاً

•

يوميات هالة	السيدة سلمى الحفار
سامبا (شعر)	للاستاذ نزار قباني
تاريخ الشعوب الاسلامية (خمسة أجزاء)	بروكلمان
غيوم عربية	الدكتور نبيه فارس
بعد النكبة	للاستاذ قدري حافظ طوقان

يصدر قريبا

برقة : الدولة العربية الثامنة	للاستاذ نقولا زياده

١١٦ ٢ - ١٩٥٠

دار العلم للملايين

كتب العرب والاسلام

•

الكتاب	المؤلف	ق. ل.
العرب	للدكتور فيليب حتي	٤٠٠
الاسلام على مفترق الطرق	ترجمة الدكتور عمر فروخ	١٥٠
العرب الأحياء	للدكتور نبيه فارس	١٥٠
غيوم غربية	للدكتور نبيه فارس	١٠٠
رائد التراث العربي	ترجمة صلاح الدين المنجد	٥٠٠
قضية العرب	علي ناصر الدين	٢٥٠
أيام الحسين	عبدالله العلايلي	٣٠٠
صفحات من الماضي القريب	ساطع الحصري	١٥٠
معنى النكبة	الدكتور قسطنطين زريق	١٠٠
روح الحضارة العربية	ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي	٢٠٠

تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان :

الجزء	ق. ل.
١ ـ العرب والامبراطورية العربية	٣٠٠
٢ ـ الامبراطورية الاسلامية وانحلالها	٤٠٠
٣ ـ الاتراك العثمانيون وحضارتهم	٣٠٠
٤ ـ الاسلام في القرن التاسع عشر	٣٠٠
٥ ـ الدول الاسلامية بعد الحرب العالمية الاولى	(يظهر قريباً)

١٠٠ قرش لبناني او ١٣٠ ملاً او فلساً او مليماً

مطابع دار الكشاف - بيروت